

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأستاذ الدكتور: فتحي بوخالفة

## محاضرات مقياس الأدب الشعبي المغربي

[Sous-titre du document]

هذه محاضرات مقياس الأدب الشعبي المغربي، بمختلف محاورها،  
وفق مقرر وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. وهي موجهة لطلبة  
السنة الثالثة ليسانس، شعبة الدراسات الأدبية.

MAISON XP

[Choisir la date]

## \*أهداف المقرر:

- 1- يمثل الأدب الشعبي المغربي خصوصية هامة، من خصوصيات الآداب الشعبية العالمية، كونه يمتاز بطابع محلي يعكس أهم السمات الجوهرية لسكان المغرب العربي. من هذا المنطلق وجب تحديد محاور أساسية ومنهجية لدراسته، تبعا لمقتضيات آفاقه المعرفية والحضارية التي يتوفر عليها.
- 2- يمتاز الأدب الشعبي المغربي بتنوع الأجناس الأدبية الإبداعية، من حكاية، وشعر، وأسطورة وخرافة، ومثل، وحكمة، ولغز، وأغنية... وغيرها من سائر الأجناس الإبداعية الأدبية الأخرى، مما يستدعي وجود منظور منهجي علمي، يتصدر لمثل هذه الأنواع بالدراسة والبحث.
- 3- الاقتراب أكثر من التحولات والتطورات التاريخية، التي عرفها الأدب الشعبي المغربي عبر مختلف مراحل تطوره وتحوله.
- 5- تحديد منظورات منهجية مقارباتية تطبيقية لدراسة الأجناس الأدبية الشعبية المغربية، وفق طبيعة وأنماط السمات الفنية لهذه الآداب.
- 6- التعرف على المكونات الحضارية والتاريخية والثقافية والفنية، للآداب الشعبية المغربية من خلال ما شملته هذه الأخيرة، من طبيعة التكوين والمنشأ.
- 7- التوصل إلى نتائج موضوعية علمية، تخص طبيعة الخصائص الفنية والجمالية للأدب الشعبي المغربي، تبعا لما يشمله هذا الأخير من هذه الخصائص.

## \*المكتسبات القبلية:

- 1- جعل الطلبة في الاختصاص يقتربون أكثر من فهم طبيعة تكوين، مختلف أشكال الأدب الشعبي المغربي.
- 2- وضع الطالب في الحثيات الحضارية والتاريخية والفنية والأدبية، للنصوص الأدبية الشعبية المغربية.
- 3- التمكن من فهم طبيعة المحتوى الحضاري والفني والأدبي، للنصوص الأدبية الشعبية المغربية.
- 4- فهم طبيعة وأنماط التحولات التاريخية والفنية والأدبية، للأدب الشعبي المغربي الحديث وفق مقتضيات خصائصه المحلية.

- 5- فهم طبيعة النمط اللهجي اللغوي المختلف، بين مجموع الأقطار المغاربية والتي أسهمت بوضوح في تطوير وتنمية الإبداع الشعبي الأدبي المغاربي.
- 6- فهم طبيعة الأنماط المحلية للأجناس الأدبية الشعبية المغاربية.

### **\*مفردات المقرر:**

- 1- المحاضرة الأولى: الأدب الشعبي - المصطلح والمفهوم -
- 2- المحاضرة الثانية: الأدب الشعبي المغاربي وعلاقته بالفلكلور
- 3- المحاضرة الثالثة: أصناف الأدب الشعبي المغاربي
- 4- المحاضرة الرابعة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغاربي
- 5- المحاضرة الخامسة: الشعر الملحون المغاربي ومجالاته
- 6- المحاضرة السادسة: الأغاني الشعبية المغاربية ومجالاتها
- 7- المحاضرة السابعة: القصص الشعبي وأنواعه
- 8- المحاضرة الثامنة: السيرة الشعبية المغاربية
- 9- المحاضرة التاسعة: الأمثال الشعبية المغاربية
- 10- المحاضرة العاشرة: الألغاز الشعبية المغاربية
- 11- المحاضرة الحادية عشر: النكتة الشعبية المغاربية
- 12- المحاضرة الثانية عشر: الأسطورة والخرافة الشعبية المغاربية
- 13- المحاضرة الثالثة عشر: مناهج تحليل ودراسة الأدب الشعبي
- 14- المحاضرة الرابعة عشر: الأبعاد العجائية في الأدب الشعبي المغاربي
- 15- المحاضرة الخامسة عشر: الصورة الفنية في الأدب الشعبي المغاربي

### **\*الفئات المستهدفة:**

هذه المحاضرات موجهة لطلبة السنة الثالثة ليسانس، شعبة الدراسات الأدبية.

## \*الفرش التمهيدي:

يمثل الأدب الشعبي المغربي، ظاهرة جمالية مميزة، كونه يعد جزءا أساسيا من الأدب الشعبي العالمي، من حيث قدرته على استيعاب مختلف الأشكال التعبيرية، من حكاية ، وشعر، وأسطورة، وخرافة، ومثل ، وحكمة، وأغنية... وغيرها من الأشكال التعبيرية الأخرى، التي اقتربت أكثر من طبيعة الذات الشعبية المغربية.

ونظرا لما يزخر به هذا الأدب من خصوصية محلية، ذات قيمة حضارية وتاريخية مميزة، كان لزاما على البحث العلمي تخصيص مناهج دراسية وجملة من الاهتمامات بطبيعة هذا الأدب، وفق ما تقتضيه الحاجة المعرفية لفهم طبيعة هذه الظاهرة، تبعا لمميزاتها الجمالية رغم تلقائيتها في التعبير والتواصل مع مختلف الفئات الشعبية، ضمن مجتمعات مغربية متعددة.

وبغرض الاقتراب أكثر، من طبيعة الأدب الشعبي المغربي، وتحديد أهم الخصائص الفنية المتعلقة به، وفق أنماط وأشكال التعبير المتوفر عليها، تم تقسيم المقرر الدراسي لجملة محاور أساسية، تراوحت بين مقدمات نظرية وتحديد لمصطلحات أساسية اقتضتها الضرورة المنهجية. ثم تحديد التعريفات الأساسية للأدب الشعبي المغربي، ثم التركيز على أهم أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي، مع تحديد خصائصها الجمالية.

كما تم اعتماد مراجع متخصصة، لتحريـر المادة العلمية للمقرر، أهمها:

- عبد الحميد بورايو: معجم الفلكلور
- إيكه هولكتراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور
- سعيدي محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق
- بولرياح عثماني: دراسات نقدية في الأدب الشعبي
- صالح جديد: الأدب الشعبي المغربي والدراسات النقدية
- محمود مفلح بكر: البحث الميداني في التراث الشعبي
- إبراهيم عبد الحافظ: دراسات في الأدب الشعبي

## المحاضرة الأولى

### الأدب الشعبي-المصطلح والمفهوم-

#### أ- مفهوم الأدب الشعبي:

يدل مصطلح الأدب الشعبي على التعبير الفني، المعتمد على الكلمة، وما يصاحبها من إشارة أو حركة، أو إيقاع، استجابة للوجدان الجماعي الشعبي ضمن بيئة جغرافية معينة، أو فترة زمنية تاريخية من فترات التاريخ الإنساني.

وقد اختلفت دلالات المصطلح بحسب اختلاف المدارس والتوجهات الفلكلورية والأدبية؛ ففي الدول اللاتينية مثلاً، يقصد به كل ماله علاقة بالفلكلور، أو أنه مصطلح يرادف الفلكلور. ثم تم تحديد مجال الأدب الشعبي، بعدما أصبح الفلكلور علماً قائماً بذاته، له مناهجه وخصائصه الموضوعية، والدوائر البحثية الخاصة به. «والأدب الشعبي هو جزء كبير وواسع، يضم سائر المآثورات الشعبية، وهو ليس بالضرورة الأدب العامي»<sup>(1)</sup>.

الأدب الشعبي هو نوع من أنواع الخلق الأدبي الشعبي، وهو جزء هام من التراث الشعبي الإنساني، «يتضمن أجناساً وأشكالاً تعبيرية معروفة، يتوسل بها للتعبير عن مختلف التجارب الإنسانية، كالحكايات الشعبية، والأغاني الشعبية، وأهازيج الطقوس الدينية، والألغاز، والأمثال...»<sup>(2)</sup>.

ولفظه شعبي، هي كل ما يتعلق بالشعب، واتصفت ممارساته بالشعبية؛ أي كل شئ من إنتاج الشعب فهو شعبي. وقد أسس المهتمون بالأدب الشعبي رؤاهم الخاصة، في تحديد مفاهيم هذا الأدب، وكذا تحديد دلالاته الاصطلاحية، فصارت لكل واحد منهم رؤيته الخاصة في ذلك، ومنهجه الخاص وتعريفه الخاص، ويعود ذلك إلى ثلاثة أسباب رئيسة هي:

- طبيعة المادة الشعبية، التي هي في جوهرها مادة حركية دائمة، وما تحويه من رموز ومنظومات فكرية وثقافية متنوعة، سواء كانت ناطقة أم غامضة، حيث لا يمكن الوصول إلى معرفة أسرارها، وفهم دلالات رموزها بسهولة ويسر.

<sup>1</sup> عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 2002، ص: 41.

<sup>2</sup> إيكه هولكتراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهري، و حسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة - مصر، 1972، ص: 33/32.

-الرؤية المنهجية الخاصة بكل باحث متخصص في الأدب الشعبي؛ هذا يعني تمتع كل باحث مختص برؤيته العلمية والموضوعية والمنهجية، وحتى الثقافية والإيديولوجية والمعرفية، مما يقود إلى اختلاف المفاهيم، وآليات البحث وتقنياته والمناهج البحثية.

-الغنى الذي يميز مادة الأدب الشعبي، بتنوع مكوناتها اللغوية، وشساعة فضاءاتها الرمزية، وصعوبة مقارنة هذه المادة الحيوية<sup>(1)</sup>.

ويقول حسين نصار في تعريفه للأدب الشعبي: «الأدب الشعبي هو الأدب المجهول المؤلف، عامي اللغة، المتوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشفوية»<sup>(2)</sup>. ويشمل هذا التعريف أربعة شروط هي جهلنا لمؤلفه، عامية لغته، مرور عدة أجيال عليه، فهو في هذه الحال، أدب متنقل عبر الأجيال، وكل جيل يثريه بحسب قدراته المعرفية، وشساعة مخيلته الإبداعية. ثم وصول هذا الأدب للجيل المعاصر مشافهة. تتفق هذه التعريفات على أن الأدب الشعبي، هو الأدب المنتج من لدن فرد معين من أبناء المجتمع، ثم انصهرت شخصية ذلك الفرد ضمن الأطر الاجتماعية التي ينتمي إليها، مصورا بذلك هموم مجتمعه، وآماله، وآلامه، في قالب فني شعبي جماعي، يتماشى مع نظرة المجتمع ومستواها الفكري والثقافي واللغوي والحضاري.

#### ب/ ماهية الأدب الشعبي المغربي:

يتمثل الأدب الشعبي المغربي في «تلك النصوص الأدبية الشعبية التي أنتجتها المخيلة الشعبية المغربية، مستقبة مضامين نصوصها من مشارب تاريخية وأدبية ودينية وأسطورية، توارثها أهالي المغرب العربي عربا وبربرا؛ إنه أدب تضافت وتداخلت فيه الطموحات والآمال مع الآلام والهموم، فأنجنت نصوصا شعبية بين النثر والشعر، غير مختلف في شكله وسرده وقضاياها عن الأدب الشعبي المحلي - الخاص بقطر واحد بعينه - والعربي»<sup>(3)</sup>؛ فالأدب الشعبي المغربي، ليس ذلك الأدب الذي يخضع للاعتبارات الجغرافية والسياسية، لدول وبلدان المغرب العربي، «وإنما هو الأدب الذي أنتجته شعوب

<sup>1</sup> للاستزادة أكثر، يراجع محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، 1998، ص: 15.

<sup>2</sup> بولرباح عثمان: دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي - الجزائر، الطبعة الأولى، 2009، ص: 18.

<sup>3</sup> صالح جديد: الأدب الشعبي المغربي والدراسات النقدية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثالث، 2016/03/01، جامعة الجلفة - الجزائر، ص: 02.

المنطقة منذ الأزمنة السحيقة ومازال متداولاً بين الأجيال المتتابة، مع إخضاع بعض مضامينه للخصوصية الثقافية والاجتماعية والدينية لكل بلد؛ فهو إذن عريق في وجوده مستمر في عطائه»<sup>(1)</sup>.

### ج/نشأة الأدب الشعبي:

يتفق الباحثون والمختصون على أن نشأة الأدب الشعبي، كانت نشأة شعبية. فقبل آلاف السنين كان النظام البشري الاجتماعي المتألف من العائلة ثم العشيرة، ثم القبيلة بعد ذلك، يتوضع أبنائه على نداءات وصيحات وأهازيج اعتيادية يومية، يرددونها أثناء أدائهم لأعمالهم، كنقل الحجارة، أو قطع أغصان الأشجار ونقلها، أو بناء البيوت وتحصينها، وحفر الخنادق لإبعاد مياه الأمطار أو تخزينها في تجمعات مائية مختلفة الأحجام والسعة، أو تحصين القرى من الأعداء... وهناك أصوات وأهازيج أخرى، تردد خلال حملات الصيد وقنص الفرائس، أو تردد أثناء القتال لشحن الهمم والعزائم، ورفع معنويات المقاتلين. ومن هذه الأصوات والأهازيج ما يردد أثناء حملات القطاف وجني الثمار والزروع، والحصاد؛ يحدث هذا الترداد بغرض تنظيم إيقاع الحركات الجسدية، أو التغلب على التعب بهدف تزجية وقت العمل، وتوحيد روح الفرد مع الروح الجماعية، لخلق التعاضد والتآزر. ومع تشكل المدن والدول، بدأت تبرز طبقات اجتماعية جديدة، وبدأت للعيان ظاهرة التفاوت الطبقي والاجتماعي، فبرزت طبقة الحكام والكهنة، وظهر تمايز واضح بين عامة الناس وخاصتهم، «وتمايز أدب هؤلاء عن أولئك، رغم أنه كان يقال بلغة واحدة غالباً في دولة المدينة. وقد ازداد التمايز بظهور أسر حاكمة لها لغتها القبلية الخاصة، تمكنت من إخضاع العديد من المدن والقبائل ذات اللغات واللهجات المتنوعة»<sup>(2)</sup>.

في مثل هذه الأجواء ولدت الكثير من الحكايات، والقصص، والأساطير، والخرافات، والأمثال، والألغاز، والتراثيل، والأهازيج، والنداءات، والصيحات، والأقوال السائرة، والحكم، والرقى، بهدف إبعاد الأذى عن الإنسان - بحسب بعض الاعتقادات الشعبية-. فظهر أدب شعبي يجعل الآلهة ويمجدها، وأدب شعبي آخر يمجّد الملوك وسيرهم، ويروي قصص حياتهم. وأدب شعبي آخر، يروي

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 04

<sup>2</sup> محمود مفلح بكر: البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 2009، ص: 83

بطولات القادة وأمجادهم، ويشيد بمغامراتهم وبسالتهم في مواجهة الأعداء وقهرهم. وكانت المعابد ميدان هذه الحكايات، والأشعار، والملاحم، والمغازي، والأغاني، حيث أضفيت هالة من القداسة والتبجيل والتمجيد على مثل هذه الأعمال الأدبية الشعبية.

إلى جانب هذه النصوص الشعبية ذات الصلة الرسمية، كان هناك أدب شعبي آخر، يعبر عن هموم الإنسان الفقير، والمقهور. ويتحدث عن الظلم الذي أحيط به، وكذا عن طموحاته وأحلامه ومعاناته اليومية المستمرة. كما كثر أدب العبرة في صيغه الشعبية من أمثال، وحكايات، وحكم، ووصايا... هذه الأنواع الأدبية التي تلخص مجمل التجارب الإنسانية والحياتية؛ إذ وجدت من أجل الاعتبار والاستفادة من تجارب الغير في قادم الأيام. «ونظرا لأهمية هذه الوصايا فقد كانت تشيع على ألسنة مختلف طبقات المجتمع، لتصبح شعبية ورسمية، أو شبه رسمية في آن معا»<sup>(1)</sup>.

من هنا يكون الأدب الشعبي، إبداع الأجيال المتلاحقة والمتعددة من سائر الفئات الطبقية للمجتمعات البشرية. فهو بذلك ليس ملكا أو حكرا على فئة من الفئات الاجتماعية، أو طبقة من الطبقات ضمن المجتمع الواحد. كما أنه ليس ملكا لمجتمع معين، إنما ملك لسائر المجتمعات الإنسانية. لذلك فهو لصيق بالحياة الاجتماعية اليومية للإنسان، يبرز في أوقات السعادة والحزن، والغنى والفقير، والفردية والجماعية. كما يرتبط بواقع الناس، بعيدا عن العوالم المثالية. والمبدع الحقيقي للأدب الشعبي، هم جماهير وعامة الناس، من أصحاب المواهب الخلاقة، والنظم، وموازن الكلام. وهم كذلك أبناء الطبقات الكادحة من المجتمع، هذه الطبقات التي لا تذكر في الرسميات، ولكنها مبدعة غاية الإبداع في صناعة الحياة اليومية. ولما كانت الصلة وثيقة والعلاقة أكثر حميمة بين الأدب الشعبي وواقع الحياة اليومية، فقد مثل هذا الأدب الهوية الفعلية في أبهى وأجمل صورها، وفق جمالياته الفنية الخاصة به. «وفي أدبنا الشعبي المغاربي نجد صورتين وهويتين كل منهما مندمج ومنصهر في الآخر، معطيا صوتا واحدا وهوية واحدة، هي ملامح وحدة ثقافة مجتمع منطقة المغرب العربي.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 84

والمراد بالصوتين قبل الاندماج: الصوت الأمازيغي والصوت العربي. والمراد بالهويتين قبل الانصهار والتوحد: الهوية الأمازيغية والهوية العربية، ليكون ناتجهما صوت وهوية المغرب العربي»<sup>(1)</sup>.

#### د/مميزات الأدب الشعبي:

تعد ميزة الشعبية أهم ميزة تتميز بها الآداب الشعبية العالمية بصفة عامة. وتترابط هذه الميزة مع خصائص فنية أخرى، يتصف بها الأدب الشعبي دائماً. وأهم هذه الميزات هي:

- مجهولية المؤلف، إذ لا يعبأ بمبدع الأدب الشعبي بالذلة الإعلامية، أو ما يسمى بالذئوع الإعلامي.

- التناقل الشفاهي للآثار والمأثورات الشعبية.

- الانتشار والتداول في الأوساط الشعبية المختلفة.

- المحتوى الثقافي المحلي، المعبر عن طبيعة وجدان المجتمع.

- التوسل باللغة العامية، كآلية للتعبير في مختلف الأجناس والأشكال الأدبية الشعبية .

- القوة الروحية الجماعية.

كما يمكن تحديد ميزات أخرى للأدب الشعبي العام، من منظور باحثين آخرين كالآتي:

- عراقة الأدب الشعبي.

- الأبعاد الواقعية لمضامينه.

- الروح الجماعية.

- تداخله الدائم، مع خصوصيات الحياة الاجتماعية الشعبية للأفراد والجماعات.

لذلك يعد الأدب الشعبي الوعاء الفني الصادق، والمعبر عن أصالة الشعوب وهويتها. فهو يرتبط بالواقع الاجتماعي للناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم، كما أنه جماعي الإبداع. وتمتاز الذاكرة الشعبية بالشمولية، والإلمام الكلي والشامل بمختلف الظواهر. وكذلك التحاور المطلق مع سائر الألوان والطبوع المعرفية والثقافية. ولعل هذا ما يفسر تميز الأدب الشعبي العام وكذا المغاربي منه بالشمولية المعرفية.

<sup>1</sup> صالح جديدي: الأدب الشعبي المغاربي والدراسات النقدية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثالث، ص: 03

## المحاضرة الثانية

### الأدب الشعبي المغربي وعلاقته بالفلكلور

أ/معنى الفلكلور:

الفلكلور Folklore مصطلح أجنبي، مشتق من أصلين لاتينيين هما: Folke وتعني الناس، Lore وتعني الحكمة أو المعرفة<sup>(1)</sup>. وقد كانت أولى المحاولات لتحديد المصطلح مع الباحث "وليام جون تومز"، الذي قدم إسهامات هامة في صياغة مصطلح "فلكلور" سنة 1846م، كما أشار إلى ذلك "يوري سوكولوف"، الذي ذكر أن الترجمة الحرفية للمصطلح كما وضعه "تومز" باللغة الإنجليزية تعني «حكمة الشعب أو المعرفة الشعبية»<sup>(2)</sup>، وهذا بغرض الوصول لمعرفة ماضي وحاضر المجتمعات البشرية، وكيفية مواجهتها للظروف التي تعترضها، سواء أكانت هذه المجتمعات بدائية أم متحضرة، خلال فترة تاريخية معينة.

ب/تصنيف الفلكلور وعلاقته بالأدب الشعبي المغربي:

يقول "محمود ذهني" في تصنيفه لمواد الفلكلور: «وعلى الرغم من أن علماء الفلكلور اختلفوا حول وضع تعريف دقيق له، لكنهم اتفقوا اعتباريا على أنه التراث الثقافي غير العلمي للشعوب»<sup>(3)</sup>. ومعنى هذا أن الثقافة غير العلمية التي هي ميدان الدراسات الفلكلورية، تحوي مجالات أساسية هي:

- 1- العادات والتقاليد الاجتماعية، وأسس وأنماط المعاملات.
- 2- المعارف والأفكار وكل ما يتعلق بالمنقولات العقلية والفكرية.
- 3- المعتقدات الدينية، وكل ما يتعلق بالشعائر والطقوس، ذات الصلة بالدين.
- 4- الفنون والصناعات العملية مثل الطب والصناعات اليدوية،... وغيرها مما ينفع أبناء المجتمع في حياتهم اليومية.
- 5- الفنون الجميلة وهي على نوعين:

<sup>1</sup> يراجع في ذلك محمود ذهني: الأدب الشعبي، مطبوعات جامعة القاهرة، -مصر، 1972، ص: 19

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 52

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص: 28/27

-الفنون البصرية مثل الرقص والرسم والعمارة.

-الفنون السمعية كالغناء والحكايات والشعر، والأمثال والمأثورات السائرة.

6-مختلف أنواع السلوكيات اليومية، والممارسات الخارجية.

7-الأنظمة الاجتماعية، كأنظمة التعليم والقضاء والخدمات المتنوعة، ونحوها.

8-المساكن وفنون العمارة وتصميم الأبنية، والأدوات التي يمكن استخدامها.

9-مصادر الدخل المتنوعة، ووسائل وطرق استغلالها وصرفها.

10-طرق الترويح وتزجية الأوقات، كممارسة الرياضات المختلفة مثلاً.

ولا يختلف مطلقاً الأدب الشعبي المغاربي في علاقته بالفلكلور، في التميز بمثل هذه الميزات، واستيعاب بعض الخصائص الجمالية، التي تخص الأدب الشعبي العام ككل وكذا الفلكلور.

وقد قدم "محمد الجوهري" تصنيفاً أكثر دقة، يتعلق بمختلف الاتجاهات العالمية التي اهتمت بالفلكلور، مقدماً بذلك مواد الفلكلور الأكثر شمولية، يقول: « ونحاول أن نقدم تصنيفاً للتعريفات المختلفة، وسوف نلاحظ أن كل تعريف منها قد ارتبط بتراث علمي في دولة أو عدة دول معينة، وأن بعضها ارتبط بفترة أو فترات زمنية معينة؛ وهي على أية حال تتدرج من الضيق إلى الاتساع، ومن الجزئية إلى الكلية وشمول النظرة»<sup>(1)</sup>.

ومن هذا التعريف يمكن استنتاج مواصفات للفلكلور في علاقاته بالأدب الشعبي المغاربي أو العكس:

1-الفلكلور هو تراث شفاهي، ويرادف مصطلح الأدب الشعبي، أو على الأقل التراث المتداول بطريقة المشافهة. والأدب الشعبي المغاربي في علاقته بالفلكلور، لا يشذ عن هذه القاعدة.

2- يضم الفلكلور تراث الفلاحين، وكل ما يتعلق بالطبقات الدنيا من المجتمع.

3-يدرس الفلكلور العام كما يدرس الفلكلور المغاربي، كل ما يتعلق بالتراث الشعبي المغاربي، في المجتمعات المغاربية عبر تطوراتها التاريخية.

<sup>1</sup> محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، دار المعارف، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2006، ص: 23.

4-من الناحية المنهجية، علم الفلكلور هو دراسة التراث الشعبي العام، دراسة شاملة مقارنة. وتؤكد الدراسات الشعبية المغاربية هذه الخصوصية، من حيث اهتمام الفلكلور بكل ما يتعلق بالخصوصيات المحلية للثقافة الشعبية المغاربية.

يهتم علم الفلكلور في علاقته بالأدب الشعبي المغاربي، بدراسة الثقافة الشعبية التقليدية المغاربية، أو التراث الشعبي المغاربي بشكل عام. ويهتم دارس الفلكلور بكل ما يتناقل اجتماعيا من الآباء إلى الأبناء، وبين سائر الشرائح الاجتماعية في المغرب العربي، مستبعدا بذلك كل ما يمكن اكتسابه عقليا، سواء كانت هذه المكتسبات متحصلة بجهود فردية أم جماعية، أو مؤسساتية، كتلك التي تكتسب من المدارس والمعاهد والجامعات والأكاديميات،... وما إليها من مؤسسات اجتماعية. وبحسب هذه النظرة الشمولية في علاقات الفلكلور بالأدب الشعبي المغاربي، يمكن تقسيم ميادين الدراسة التي يعمل عليها الفلكلور إلى أربعة أقسام رئيسة هي:

1-المعتقدات الشعبية، وكذا المعارف الشعبية.

2-العادات والتقاليد الشعبية، لاسيما المحلية منها التي تخص منطقة المغرب العربي.

3-الأدب الشعبي المغاربي.

4-الثقافة المادية، وكذا الفنون الشعبية المحلية المغاربية.

ويذهب الدكتور "مصطفى جاد" إلى تقسيم ميادين عمل الفلكلور بصفة عامة وشاملة، إلى خمسة

ميادين هي:

1-المعتقدات والمعارف الشعبية.

2-العادات والتقاليد الشعبية.

3-الأدب الشعبي.

4-الفنون الشعبية.

5-الثقافة المادية.

والملاحظ أن هذه التقسيمات لا تختلف كثيرا، عن التقسيمات السابقة مما يثبت عدم خروج الأدب الشعبي المغربي، وكذا الفلكلور المغربي، عن الاهتمامات ذاتها التي يهتم بها الأدب الشعبي العالمي، وكذا الفلكلور العالمي بشكل عام.

وهذه المواد المثبتة هي مواد الفلكلور، التي يعد الأدب الشعبي واحدا من مكوناتها. والفلكلور أعم وأشمل من الأدب الشعبي. وبالنسبة لعمل الفلكلور، فهو « يعني ذلك الفرع من فروع المعرفة الإنسانية الذي يعنى بدراسة تلك المأثورات الشعبية أو المادة الفلكلورية من زاوية معينة، تختلف عن الزاوية التي ينظر منها علم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا وغيرها من العلوم الأخرى (...) » فإن علم الفلكلور يهدف إلى محاولة استخدام حاصل تلك الدراسات في الوصول إلى أوضاع جديدة مفيدة، ونافعة للمجتمع المعني بالدراسة (...) ونستطيع القول بأنه بقدر ما يوغل تاريخ المأثورات الفلكلورية في القدم، بقدر ما يعتبر علم الفلكلور من أحدث العلوم المعاصرة»<sup>(1)</sup>.

فمصطلح الأدب الشعبي المغربي يعني الإبداعات الشعبية فقط، كالحكاية. والمثل، والنكتة، والشعر الشعبي، والأغاني الشعبية... في حين تبقى مواد أخرى كالعادات والتقاليد، والمعتقدات، والفنون، والمنتجات الحرفية... خارجة عن نطاق الأدب الشعبي.

كما تجدر الإشارة إلى أن كثيرا من الأفكار والمعتقدات القديمة، التي تنتمي للأساطير والطقوس والشعائر المختلفة، قد تسربت مع مرور الزمن، والتعاقب التاريخي للحضارات المستمرة، والثقافات التي جعلت تتطور، إلى نطاق التراث الشعبي، وتشعبت وتطورت ضمن العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية، والأدب الشعبي، والفنون الشعبية أيضا، كما هو واضح في بعض العادات الاجتماعية، كما هو حاصل في الجنائز، والأعراس... وغيرها من العادات الأخرى، الشيء الذي يجعل العلاقة متبادلة بين الأدب الشعبي المغربي، والفلكلور المغربي، حيث يمكن التعرف في هذه الحال، على بعض الممارسات الشعبية في منطقة المغرب العربي، وكذا الثقافة المادية، من خلال ما أنتجته المخيلة الشعبية المغربية من أمثال وألغاز، وحكايات شعبية، وشعر شعبي...

<sup>1</sup> محمود ذهني: الأدب الشعبي العربي، ص: 33/32

## المحاضرة الثالثة

### أصناف الأدب الشعبي المغربي

تتسم نصوص الأدب الشعبي المغربي بالوفرة الهائلة، من حيث الإنتاج والنظم، نتيجة الغنى والتنوع الذي تتميز به المخيلة الشعبية المغربية، في مجالات النظم والسرد معا. الأمر الذي يجعل التعامل مع هذا التراث الشعبي الواسع والوافر صعبا إلى حد كبير، لاسيما في مجال دراسة خصائص هذا المنتج الأدبي الشعبي، وكذلك عند تقسيمه إلى فروع وأصناف، وتحديد الأنواع الأدبية والفنية التي تنتمي إليها فروع هذا التراث. وقد قام دارسو الأدب الشعبي العام (العالمي)، بتقديم جهود متواصلة للقيام بعمليات تصنيفية منهجية وفق أسس علمية، مراعين بذلك خصائص نصوص الأدب الشعبي والسمات المشتركة لهذه النصوص. ومن بين التصنيفات الأساسية التي حققت قواسم مشتركة بين الأدب الشعبي العام والأدب الشعبي المغربي، وكانت مثارا للاختلاف في الآن ذاته؛ تصنيف مواد الأدب الشعبي، وتصنيف أنواع الحكاية الشعبية، سواء كانت هذه الحكاية على المستوى العالمي أو المستوى العربي، أو المستوى المغربي، أو حتى الجزائري المحلي.

### أ/ أصناف الأدب الشعبي العالمي والمغربي:

الملاحظ وجود خلافات كثيرة بين الباحثين والمختصين، في تصنيف الأدب الشعبي العالمي والمغربي، وهذا بحسب اتجاهات كل باحث مختص. ومنذ منتصف القرن الماضي ظهرت اتجاهات جادة وموضوعية لتصنيف الأدب الشعبي العالمي والمغربي، بحسب رؤية كل باحث:

**1- تصنيف نبيلة إبراهيم:** قدمت نبيلة إبراهيم رؤية لتصنيف الأدب الشعبي، معتمدة في ذلك أبرز الأنواع والأجناس الأدبية الشعبية العالمية والمغربية، كالأتي: الأسطورة، الحكاية الخرافية الشعبية، الحكاية الشعبية، المثل الشعبي، اللغز الشعبي، النكتة الشعبية، الأغنية الشعبية<sup>(1)</sup>. وهو التقسيم الذي اعتمده محمد الجوهري، مع تخليه عن بعض الأنواع القليلة، كالسيرة الشعبية، والنداءات والأهازيج.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1998، ص: 53 ومايليها.

**2- تصنيف مصطفى جاد:** يعتمد الباحث "مصطفى جاد" على رؤية الباحث "محمود مفلح البكر" في تصنيف مواد الأدب الشعبي. وفي هذا الصدد يقول محمود مفلح البكر: «يتفرع الأدب الشعبي إلى فروع رئيسية، تتفرع بدورها إلى فروع عديدة، وأغلب الفروع الرئيسية متفق عليه بين العلماء والباحثين»<sup>(1)</sup>. وما أورده الدكتور مصطفى جاد من أقسام الأدب الشعبي، يمكن ذكر الآتي: الأساطير، الحكايات، السير الشعبية، الملاحم الشعبية، الشعر الشعبي، الأغاني الشعبية، الأمثال الشعبية، الألغاز الشعبية، الفكاهة الشعبية، التعابير والأقوال الشعبية السائرة، نداءات الباعة، العضلات اللسانية (كالمشاجرات والمبارزات اللسانية مثلا)، الرقى، التعاويذ.

### ب/أنواع الحكاية الشعبية المغربية:

سجل الباحثون المختصون صعوبات كثيرة في تصنيف القصص الشعبي المغربي، وهذا يعود إلى سببين اثنين رئيسيين هما: اختلاف الدارسين حول المعايير العلمية التي يمكن اعتمادها في تصنيف أنواع الحكاية الشعبية المغربية، إلى جانب الخصائص الفنية التي تتميز بها الحكاية الشعبية المغربية، و طبيعة تطور الثقافة الشعبية المغربية عبر العصور التاريخية المتعاقبة. ومثل هذه الصعوبات لا تخص الأدب الشعبي المغربي لوحده، إنما تخص الأدب الشعبي العالمي ككل.

**1- تصنيف "أنتي آرنى" Anti Arny:** ربما مثلت محاولة الباحث الفنلندي أنتي آرنى، أهم المحاولات الأولى في تصنيف الحكاية الشعبية الفلكلورية، تصنيفا علميا في كتابه الشهير "فهرست أنماط أو طرز الحكايات الشعبية" The Type Index Of Folkneles الذي نشر سنة 1910م. وقد قام الباحث الأمريكي "ستيث طومسون" Stith Thompson بترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية وراجعته مرتين، ليضيف في مراجعته الثانية التي نشرت سنة 1961م، ملخصا يفوق تعداده الألفي حكاية شعبية ما بين هندية وأوروبية. جاعلا لكل تلخيص رقما يميزه، تبعا لمنهجية التصنيف التي تعتمد بداية على تحديد طبيعة الحكايات طبقا لمضمون ومحتوى الحكاية، ثم ترقيمها تحت الباب الذي تنتمي إليه. ويعتمد التبويب عادة على شخصيات الحكاية، مع إبعاد

<sup>1</sup> محمود مفلح البكر: مدخل إلى البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق - سوريا، 2009، ص: 85

طبيعة وأنماط الأحداث، كما تحمل الحكايات مع الفهرس، أرقاماً تمكن من الإشارة إليها بحسب أنماطها. وقد وجهت انتقادات لهذا التصنيف المنهجي كـ«اقتصاره على الحكايات الهندو أوروبية فضلاً عن قصور في الفهرست؛ ذلك أن الشخصية تتغير من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، ولكن الحدث يمكن أن يكون هو الجامع بينها على الرغم من اختلافها تبعاً لمجتمعها وثقافتها، التي نشأت فيها»<sup>(1)</sup>. فأنتي آرتي يقوم بجمع ومقارنة الأنواع المختلفة، لكل حكاية في العالم، ويسمي موضوع الحكاية ونموذجها، ويعطيه الرقم الخاص به. وقد كانت الأصناف التي اعتمدها للحكاية الشعبية العالمية كالاتي: حكايات الحيوانات، الحكايات الخرافية، الحكايات الدينية، الحكايات الخيالية، حكايات اللصوص وقطاع الطرق، حكايات الخوارق والعفاريت، النكت والحكايات الهزلية، حكايات الأكاذيب، حكايات المغامرات، حكايات الحيل والخداع، حكايات غير مصنفة.

**2- تصنيف عبد الحميد يونس:** قدم الباحث "عبد الحميد يونس" رؤيته في تصنيف الحكاية الشعبية، وفق نوعية الشخصيات التي تحويها الحكاية، وكذا طبيعة الجانب الاجتماعي والوظيفي للشخصية الحكائية، فخلص إلى التصنيفات الآتية: حكايات الحيوانات، حكايات الجان، السيرة الشعبية، حكايات الشطار، الحكاية الشعبية المرحية، الحكايات الشعبية الاجتماعية، حكايات الأغاز، حكايات الأمثال<sup>(2)</sup>.

**3- تصنيف نبيلة إبراهيم:** تعتمد نبيلة إبراهيم في تقسيم وتصنيف الحكاية الشعبية، الأنماط الآتية: حكاية الواقع الأخلاقي، حكاية الواقع الاجتماعي، حكاية الواقع السياسي، حكايات العالم الغيبي، حكايات المعتقدات الشعبية والأسطورية والخرافية، الحكايات الهزلية. ويلاحظ أن تقسيم الباحثة، أخذ بعين الاعتبار الأبعاد الواقعية للقصة والحكاية الشعبية<sup>(3)</sup>.

**4- تصنيف مصطفى يعلى:** يقول "مصطفى يعلى" محددات التصنيفات المنهجية التي توصل إليها، بشأن دراسة الحكاية الشعبية في المغرب العربي: «إن القصص الشعبي المغربي يحتاج لدى جمعه، إلى

<sup>1</sup> أحمد مرسي: مقدمة في الفلكلور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 2004، ص: 233.

<sup>2</sup> يراجع في ذلك عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 2002، ص: 114.

<sup>3</sup> ينظر نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت - لبنان، 1974، ص: 29.

تبويبه ضمن فئات فنية نوعية، يمكن حصر مفرداتها المصطلحية ومفهوماتها التحديدية، من خلال استيعاب مكوناتها الإجناسية. وها هي محاولة تقريبية في هذا الشأن: الحكاية العجيبة، الحكاية الشعبية، الحكاية الخرافية، الحكاية المرحية... ولعل هذا التحديد الإجناسي المقترح لتمييز أنواع القصص الشعبي جماليا ودلاليا، سيساعد كثيرا على إعادة جمع القصص الشعبي المغربي، في إطار منظم، يتم تبويب متنه ضمن أنواع سردية شعبية محددة، تمتلك كل منها مكوناتها البنيوية المخصصة، ومقصديتها الوظيفية، ودلالاتها الاجتماعية»<sup>(1)</sup>.

**5- تصنيف محمد سعيدي:** يقول "محمد سعيدي" في تقديم رؤيته لتصنيف الحكاية الشعبية: «لقد جرت العادة في تصنيف الحكايات اعتماد عناصر داخلية مختلفة كالأبطال والخوارق والجن، غير أن هذا التصنيف غير ثابت لاحتواء نصوص الحكايات على هذه العناصر مجتمعة. كما جرت العادة أيضا تصنيف نصوص الحكايات اعتمادا على العنصر الموضوعاتي كالحب والإخلاص والدين والكراهية، والحيلة والشجاعة، أو الاعتماد على المحاور الكبرى، كالنصوص ذات النزعة الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية... إلخ. ولكن هذه التصنيفات ذاتية وغير ثابتة؛ فقد يكون النص مصنفا في مصافين اثنين كنص اجتماعي وكنص سياسي، وذلك لاحتوائه على قيم كثيرة ومتغيرة. إن نص الحكاية الشعبية يتقاطع مع أشكال التعبير الشعبي الأخرى كاللغز والمثل والنكتة والشعر؛ وقد أسفر هذا التقاطع على ظهور نصوص مختلفة امتدت معطياتها الشكلية والدلالية. وقد اعتمدنا في تصنيف أنواع الحكايات على هذا التقاطع النصي، والذي تبدو آثاره جلية من خلال القراءة الأولى للنصوص، فجاءت أقسام الحكاية كالاتي: الحكاية اللغزية، الحكاية النكتية، الحكاية الشعرية، الحكاية الشعبية الخرافية»<sup>(2)</sup>. وبملاحظة المنظور المنهجي الذي اعتمده الدكتور محمد سعيدي، في استنتاج أصناف الحكاية الشعبية، يكون الأدب الشعبي المغربي، في تصنيفاته على النسق ذاته الذي توصل إليه الباحث، في تصنيفه للأدب الشعبي العربي. حيث أن الأصناف المذكورة، هي ذاتها الأصناف التي حويناها الأدب الشعبي المغربي، سواء باللغة الأمازيغية المحلية الأصلية، أم اللهجة العامية الدارجة، مع

<sup>1</sup> مصطفى يعلى: القصص الشعبي المغربي: إشكالية التصنيف والتجنيس، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط - المغرب، الطبعة الأولى 1994، ص: 117

<sup>2</sup> محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، 1991، ص: 63

وجود أصناف أخرى، هي من صميم الحياة الشعبية المغاربية، مشتركة بين مختلف أقطار المغرب العربي. وطبيعي جدا أن الثقافة الشعبية المغاربية، تزخر بمختلف تلك الأنواع والتصنيفات للحكاية الشعبية المغاربية.

**6- تصنيف عبد الحميد بورايو:** يقدم الدكتور "عبد الحميد بورايو" منظوره المنهجي في تصنيف الحكاية الشعبية المغاربية، والجزائرية منها خصوصا، على أساس العناصر المشتركة الثابتة من الناحية الشكلية، بين مختلف قصص وحكايات منطقة المغرب العربي. يقول في هذا الموضوع: «فقد عملت على مراعاة العناصر الثابتة ذات الطبيعة الشكلية بصفة أساسية، إلى جانب ذلك استندنا على التميزات التي عينها حملة التراث وعلى اختلاف ظروف أداء القصص ومناسباته ونوعية الرواة والوسط، الذي يقبل عادة على تلقي النوع القصصي. إلى جانب ذلك حاولنا تتبع الظروف التاريخية التي تطور كل نوع، وكل شكل فرعي»<sup>(1)</sup>. ويقدم الدكتور عبد الحميد بورايو تصنيفاته للحكاية الشعبية الجزائرية والمغاربية كالاتي:

- قصص البطولة وهي أنواع: قصص البطولة البدوية، قصص المغازي، قصص الأولياء، قصص الزهاد، قصص الخارجين عن القانون، قصص الثوار.

- الحكايات الخرافية وهي أنواع: الحكايات الخرافية البحتة، حكايات الأغوال ذات السمة الغيبية.

- الحكايات الشعبية وهي أنواع: حكايات الواقع الاجتماعي، الحكايات الشعبية المحلية، حكايات الحيوان، النوادر<sup>(2)</sup>.

مع تطور الأبحاث المتخصصة في الأدب الشعبي، مما أنتج تطورا في أشكال التصنيف والتقسيم الخاص، بأجناس الأدب الشعبي المغاربي، والحكاية الشعبية المغاربية، تبين للباحثين المختصين أن التقسيم حسب الموضوع أو الطريقة، رؤية قاصرة إلى حد ما، يمكن أن تفضي إلى أخطاء منهجية. ويمكن كذلك أن تؤدي إلى توسع محل في تقسيم وتصنيف الأدب الشعبي المغاربي، أو الحكاية الشعبية المغاربية. لذلك أجمع الباحثون على أن يعتمد التصنيف أسسا أخرى هي من صميم الطابع

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصة للنشر، -الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص: 89

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص: 90

المحلي للأدب الشعبي المغاربي، والحكاية الشعبية المغاربية؛ الأساس الأول هو الشكل، ثم الجانب التاريخي وظروف نشأة الأتمودج الشعبي المغاربي. و هي الرؤية ذاتها التي يمكن أن تنطبق على الأدب الشعبي الجزائري. وفي هذا الصدد يقول الدكتور "ناصر عبد العزيز": «ومهما يقال عن إشكالية تصنيف القصص الشعبي الجزائري، فلا يقال أكثر من كونها أشكالا فرضتها ظروف آنية، حتمتها مفاهيم هي من الخطأ أقرب إلى الصواب. ونعتقد -فيما تيسر علمه- أن مرد ذلك إلى اعتبارات منها على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي: قلة إن لم نقل ندرة المادة الشعبية السردية الجزائرية المجموعة. ومن هذه القلة المجموعة والمدونة من قصصنا الشعبي الجزائري، ما لا يتعدى مناطق جزائرية بعينها، لا تعكس في مجملها إلا أجزاء باهتة من إبداع وخيال الإنسان الشعبي الجزائري»<sup>(1)</sup>. هذه رؤية باحث جزائري، حول مسألة تصنيف القصص الشعبي الجزائري، الذي يرى أن الإشكالية الفعلية في هذا التصنيف متعلقة أساسا، بقلة جمع مادة القصص الشعبي الجزائري، مما يعكس قلة الاهتمام العلمي الممنهج بهذه المادة الشعبية، الشيء الذي يؤكد الصعوبة المنهجية المذكورة. وهي الرؤية ذاتها التي يمكن أن تنطبق إلى حد كبير، على إشكالية تصنيف القصة الشعبية المغاربية.

إضافة إلى ذلك يمكن تحديد صعوبات منهجية أخرى إضافية، لتصنيف القصص الشعبي المغاربي كالآتي:

-بالنسبة للتصنيف العالمي، فهو تصنيف يناسب بيئته الاجتماعية والتاريخية التي أنتجته. وهذا الذي يبرر عدم تمكن البحوث الأجنبية التي درست المنطقة المغاربية، خلال الفترة الاستعمارية أو بعدها، من التوفيق في تصنيف مادة القصص الشعبي المغاربي. فعملية الإسقاط للأتمودج الغربي على نماذج أدبية شعبية مغاربية، تختلف معها في نواحي عدة، سواء أكانت هذه النواحي اجتماعية أو واقعية أو تاريخية، وحتى دينية. الشيء الذي لم يترك مجالا للشك في عدم تقبل استخدام بعض المصطلحات في تحرير الكثير من البحوث المتخصصة. وكذا عدم تقبل تفاصيل كل نوع، من أنواع الأدب الشعبي المغاربي، أو القصص الشعبي المغاربي.

<sup>1</sup> ناصر عبد العزيز: إشكالية تصنيف القصص الشعبي الجزائري، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد الأول 2009، جامعة المسيلة-الجزائر، ص:153

- غياب التصنيف العربي، لتراث الأدب الشعبي العربي والمغاربي على حد سواء، وضعفه كذلك في الإحاطة بالذخيرة التراثية الشعبية المغاربية على وجه الخصوص. وهذا على عكس الدول والمجتمعات الغربية، التي عنيت بعملية جمع تراثها المحلي وحتى العالمي، في مرحلة مبكرة من مراحل التاريخ، بدعم من حكوماتها، والدوائر البحثية المختصة، ووفق خطط علمية ذات أبعاد عميقة ومستمرة أيضا؛ في الوقت الذي ظهرت فيه بعض الخطوات والمبادرات المتعثرة إلى حد ما، في بعض دول المشرق العربي كمصر مثلا، أو بعض دول الخليج العربي. أما الدول المغاربية، فلا تزال تراوح مكانها، في حدود جهود فردية فقط، من أجل جمع المادة التراثية الخاصة بها وبشعوبها.

- التنوع الهائل للحكاية الشعبية المغاربية، حيث يمكن العثور على أنواع عدة من الحكايات ضمن الأنموذج الحكائي الواحد.

- عدم توحيد الجهود العلمية في دول ومجتمعات المغرب العربي، بين مختلف الباحثين المختصين، بغرض التوصل لإنجاز أعمال علمية منهجية، تختص بجمع وتصنيف المادة التراثية في المغرب العربي، والقيام بدراساتها وتحليلها بعد ذلك.

## المحاضرة الرابعة

### أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي

الملاحظ لأشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي، يجدها كثيرة ومتنوعة، هذا بالإضافة إلى أن المهتم بتراث سائر الأمم الإنسانية الأخرى، يكتشف مقدار التداخل سواء من الناحية الجزئية أو الكلية في البناء الشكلي لأشكال التعبير تلك وكذا في الموضوعات. وهذا ليس بالأمر الغريب، بحكم أن المغرب العربي منطقة جغرافية واسعة، ومتنوعة من حيث الطبيعة والموارد والثقافة. كما أن الشعوب المغربية هي شعوب لها جذور تاريخية عريقة، واختلطت بباقي الشعوب الإنسانية الأخرى. لذلك كان لزاما النظر في العلاقات المشتركة بين أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي، وأشكال التعبير في الأدب الشعبي الجزائري، والأدب الشعبي العربي العام. إضافة إلى رصد مواطن التماثل والاختلاف أيضا، بين الأشكال التعبيرية بين الآداب الشعبية لمختلف تلك الشعوب.

أ/ **الحكايات الشعبية العجيبة:** تمثل الحكاية الشعبية العجيبة، شكلا هاما من أكثر الأشكال إثارة وبرزوا في المرويات الثقافية الشعبية في المغرب العربي. وقد أشارت مختلف الدراسات العرقية (الأنثوغرافية) والإنسانية (الأنثروبولوجية)، وكذا الدراسات السوسيوثقافية منذ "ابن خلدون"، إلى ثراء المغرب العربي بمختلف الحكايات الشعبية العجيبة، لاسيما في المناطق الناطقة باللغة الأمازيغية، والتي صارت أجزاء منها فيما بعد، ناطقة باللغة العربية، بعد بداية شيوع اللغة العربية منذ الفتوحات الإسلامية للمغرب العربي. وقد لاحظ الباحثون وجود تهجين لمثل هذا النوع من القصص، خلال فترة الحكم العربي لبلاد المغرب ككل، عندما تداخلت عناصره مع عناصر الملحمة الشعبية، على نسق ما حدث للقصص "الهلالية"<sup>(1)</sup>.

ب/ **المغازي:** هي شكل من أشكال التعبير الأدبي الشعبي في منطقة المغرب العربي. وقد عرف هذا الشكل رواجا منذ بداية الحركة الاستعمارية على بلاد المغرب العربي. وحملة هذا النوع الأدبي هم من المداحين؛ « وهم رواة محترفون كانوا يجوبون الأسواق وينتقلون بين المراكز السكانية المختلفة في المغرب

<sup>1</sup> للتوسع أكثر يراجع في ذلك عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية - التاريخ والقضايا والتحليلات -، دار فيسيرا للنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الأولى 2011، ص: 100

العربي. يمثل هذا الشكل التعبيري أدبا ملحما استمد عناصره من الثقافة العربية الإسلامية، وقد تحولت بعض موادّه في سياق تطورها إلى حكايات شعبية بطولية»<sup>(1)</sup>.

**ج/القصص الهلالية:** هو لون قصصي شعبي ملحمي، ذو طبيعة بدوية، يخلد بقايا سيرة "بني هلال". ينتشر غالبا في ليبيا وتونس والجزائر. «وتختلف رواياته وأبطاله تبعا للمناطق المختلفة، وقد عرف تطورا في بنيتها الشكلية لما امتزج بالحكاية الشعبية، وكذلك بقصص كرامات الأولياء في البلدان المغاربية»<sup>(2)</sup>.

**د/شعر الحكمة الشعبي:** ينتشر هذا النوع من الشعر، الذي نظم عادة في شكل رباعيات، في سائر أقطار وأنحاء المغرب العربي ومن أشهر نظامه "الشيخ عبد الرحمان المجذوب" الذي أثار لبسا كبيرا حول شخصيته الحكمية، والذي عرف بكثرة تحوالة في مختلف أنحاء المغرب العربي. حيث وجد أناس كثر يحفظون له أشعارا كثيرة، بلهجاتهم، وكأن هذا الشاعر الشعبي الكبير كان ينظم أشعاره، بمختلف اللهجات المغاربية المعروفة. وقد نشرت مجموعات شعرية لهذا الشاعر في الجزائر، ظهرت فيها اللهجة العامية الجزائرية العربية واضحة، رغم أن ما كتب عن سيرة حياة الشاعر، يقر بأنه عاش في أراضي الجارة المغربية (المغرب الأقصى).

**هـ/الأمثال والألغاز الشعبية:** قسم الباحثون الأمثال والألغاز الشعبية، إلى أنواع، منها ألغاز عربية فصيحة تعود أصولها إلى الأدب الجاهلي، وأخرى إلى صدر الإسلام، وهذا تبعا لطبيعة الظروف الجغرافية، إلى جانب عوامل حضارية أخرى، كالثقافة والدين، والأمر ذاته ينطبق على المثل، فبحكم الأصول الحضارية المشتركة بين الأمثال الشعبية وكذا الألغاز، توجد الكثير من هذا الأشكال التعبيرية الشعبية التي رويت، ومصدرها الأدب الجاهلي، كما جاء في لغز الميزان على سبيل المثال:

قاعد ومريح	والخير يجبه
لكلام ما يتكلم	والحق يعطيه

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 100

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 102

هذا لغز شعبي مستمد، من آثار المنظومة الشعرية الأدبية الجاهلية، حيث ورد في بعض آثار الشاعر الجاهلي "امرئ القيس"، في قوله للشاعر "عبيد بن الأبرص" قوله:

ما الحاكمون بلا سمع ولا بصر ولا لسان فصيح يعجب الناس

فكان رد عبيد بن الأبرص كالآتي:

هي الموازين والرحمان أنزلها رب البرية بين الناس مقياسا

ومن العناصر الهامة التي تسهم غالبا في تكوين الأمثال والألغاز الشعبية، عناصر الثقافة العربية الإسلامية؛ هذه العناصر التي تؤكد حضورها بقوة، «فهنالك ألغاز ترتبط بقصص الأنبياء مثل قولهم (ثلاثة بلا والدين، واحد عاصي وزوج تايين)، و الحل هو (إبليس/، وآدم وحواء). وألغاز ترتبط بالشعائر الدينية كقولهم في الكعبة المشرفة (كحلا يا محلاها، واللي يشوفها يتمناها)، أو قولهم في تحية السلام (تبدا بالسين والسين شرعية، نصها عليك ونصها عليا)، أو في صلاة عصر يوم الجمعة (سر بين جهرين)»<sup>(1)</sup>.

ويبقى السؤال المطروح حول اختلاف اللهجات العامية العربية، رغم بقاء نصوص الأمثال والألغاز الشعبية متشابهة إلى حد كبير؟.. يقول الدكتور "عبد اللطيف الدليشي" في ذلك: «.. والمثل ما هو مقتبس في معناه من آي القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو المثل الفصيح، أو ما هو محرف في لفظه من المثل الفصيح أيضا. كما أن منه ما يعتمد في معناه على أحداث تاريخية أو اجتماعية معينة، أو أبطال اتصفوا بالشجاعة أو الكرم، أو الوفاء أو الإيثار»<sup>(2)</sup>.

ومن الباحثين من يرى أن أساس التماثل والتشابه القائم، بين الأمثال والألغاز الشعبية، يعود إلى المصدر الحقيقي لهذه الأمثال والألغاز الذي هو الشعب، و«الذي يستمد من صميم الواقع، وأنها نتاج الإبداع الجماعي لأجيال كثيرة. وأكثر الأمثال والألغاز لا يعرف قائله، ولا تاريخ منبعها»<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> أحمد بن محمد بن الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الأولى، 2007، ص:34

<sup>2</sup> <http://alnoor.se/article.asp> عبد اللطيف الدليشي: الأمثال الشعبية في البصرة، الموقع الإلكتروني:

<sup>3</sup> <http://alnoor.se/article.asp?id> فخري صبري عباس: العناصر المشتركة للأمثال العامية العربية -دراسة مقارنة في الأنثروبولوجيا الثقافية-، الموقع الإلكتروني:

وهناك أمثال وألغاز شعبية في منطقة المغرب العربي مصدرها، "السيرة الهلالية"، التي عادة ما تروى في الجزائر، وتونس مثلاً، من ذلك هذا اللغز الذي رواه الأمير الهلالي "ذياب بن غانم الهلالي" في السيرة لزوجته (واش هوما سته اللي يغلبو سته). حل اللغز هو: (النار يغلبها الماء، الماء تغلبو العقبة، العقبة تغلبها الخيل، الخيل تغلبها الرجال، الرجال يغلبوهم نسا، النساء يغلبوهم أولادهم).

كما يلاحظ التشابه الواضح للكثير من الألغاز الشعبية في منطقة المغرب العربي، بنظيراتها في المشرق العربي وباقي أقطار الوطن العربي، على الرغم من شساعة مساحة الوطن العربي مشرقاً ومغرباً. من ذلك مثلاً هذا اللغز المتعلق بالدجاجة والبيضة: (حي جاب ميت، وميت جاب حي). يلاحظ التطابق اللفظي ذاته، في المثل الذي يروى في الجزائر: (حي جاب ميت، وميت جاب حي).

وكذلك لغز "السيجارة"، حيث يروى بطريقة متطابقة أيضاً، بين تونس والجزائر. ففي تونس يروى كالآتي:

صاحبي لعزیز علي      هونته ما حب يهون  
وين يضيق الحال علي      نحشي راسو في الكانون  
ويروى في الجزائر كالآتي:

صاحبي لعزیز علي      حبو شاعل في المكنون  
منين يضيق علي الحال      ندير رويسو في الكانون

الملاحظ أن أمثلة التطابق اللفظي والمعنوي، بين الأمثال والألغاز الشعبية كثيرة جداً. وهذا التطابق لم يأت عبثاً أو بمحض الصدفة، إنما هو امتداد طبيعي لآداب أمة المغرب العربي، وكذلك هي ميراث ثري عن الأسلاف، المؤكد لوحدة هوية المغرب العربي، رغم التباعدات السياسية، وتعدد اللهجات. وإذا كان تشابه المأثورات الشعبية في ذاكرة أجناس بشرية، تختلف أرومتها وألوانها وتاريخها وأديانها، وتتباين بيئاتها وثقافتها، وتتباين طبائعها ولغاتها وأنماط عيشها وعاداتها، كثيراً ما يطرح التساؤل، ولا يجد مبررات طرحه إذا تعلق الأمر بشعوب، مثل الشعوب المغاربية التي تشترك - كما هو واضح - في التاريخ والثقافة والحضارة، والمنطقة الجغرافية منذ أزمنة قديمة جداً. «من هنا كان التوافق بين الألغاز

والأمثال المغربية والجزائرية والتونسية كبيراً، في قواعد الإبداع وطرائق الإلقاء والتلقي، وعادات الرواية والتداول وظروفهما. وكان التشابه واضحاً في المعاني والصور، والتقارب بينها في الصيغ والأنماط والقوالب، وكان التماثل في الموضوعات عاماً متكاملًا<sup>(1)</sup>.

تمثل الهوية المغربية حضوراً قوياً في أدب السيرة الشعبية، خاصة في السيرة الهلالية، والأمر ذاته مع سيرة الإمام "علي بن أبي طالب" -كرم الله وجهه-. كما تجسد حضوراً مميزاً في الحكايات الشعبية الخرافية وغير الخرافية، وكذلك الأمثال والألغاز، والشعر الشعبي. هذه الأشكال التعبيرية الشعبية المتنوعة، حافظت بقوة على الهوية العربية، كما حافظت على الطابع المحلي للهوية المغربية. حيث سجلت رباعيات الشاعر المغربي الحكيم عبد الرحمان المجذوب حفظاً مميزاً، لدى العامة من سكان منطقة المغرب العربي. كما أسهمت الأساطير والحكايات الشعبية الخرافية، وغيرها من الشعر الشعبي الأمازيغي لمنطقة المغرب العربي، إسهاماً حياً في المحافظة على الخصوصية المحلية، للهوية المغربية بأبعادها التراثية الأمازيغية العميقة، وكذا العربية الإسلامية.

---

<sup>1</sup> أحمد زيادي: الأحاجي المغربية، دار تونكال للنشر والتوزيع، الرباط، -المغرب، الطبعة الأولى 1994، ص: 454.

## المحاضرة الخامسة

### الشعر الملحون المغاربي ومجالاته

#### أ/ ماهية الشعر الملحون:

توصل الدارسون المختصون إلى تحديد عدة مصطلحات مفاهيمية، لتسمية الشعر الملحون. وسعى كل واحد من الباحثين إلى الدفاع عن اختياره وتوجهه العلمي. حيث يلاحظ في هذا المجال اختيار كل باحث متخصص للمصطلح الذي يلائم طبيعة توجهاته العلمية، ورؤاه المنهجية. ولعل هذا مبرر وجود عدة مصطلحات تستخدم للمجال نفسه منها: الشعر الشعبي، الشعر الملحون، الشعر العامي،... ولم يقتصر أمر اختلاف استخدام المصطلح على الباحثين فحسب، إنما تجاوز الأمر حتى إلى الشعراء المبدعين، والذين كانت لهم مصطلحات أخرى، عادة ما تكون مصطلحات أو تسميات "عامية". حيث يكون لهؤلاء الشعراء أنفسهم « تسميات أطلقوها على أشعارهم تماشيا مع بيئاتهم وما توارثوه عن أسلافهم، فالشعراء يطلقون أسماء كثيرة على أشعارهم منها: الكلام، الميزان، الغناء، القول، القصيدة، الشعر،...»<sup>(1)</sup>. فيقولون: فلان عنده كلام كبير، جاب عليه كلمة؛ أي قصيدة.

#### ب/ إشكالية التسمية:

يعتقد الباحثون أن الشعر الملحون أعم وأشمل من الشعر الشعبي، بحكم لغته العامية الخالية من القواعد النحوية والصرفية، حيث يشمل كل شعر منظوم بالعامية، سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله، سواء روي مشافهة أم كتابة، دخل حياة الشعب فأصبح ملكا للشعب، أو كان شعرا خاصا لخاصة من الناس أو عليا القوم. «وعليه فوصف الشعر بالملحون أولى من وصفه بالعامي، فهو لحن يلحن في كلامه؛ أي نطق بلغة عامية غير معربة. أما وصفه بالعامي فقد ينصرف معنى هذه الكلمة إلى عامية لغته، وقد ينصرف إلى نسبته للعامية، فكان وصفه بالملحون مبعدا له من هذه الاحتمالات»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية - التاريخ والقضايا والتحليلات -، دار فيسيرا للنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الأولى 2011، ص: 42.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 53.

يفضل كذلك الدكتور "عبد الله الركيبي" استخدام مصطلح "الملحون" بدل مصطلحات أخرى للشعر الشعبي المغاربي ، حيث يقول: « اخترت مصطلح الشعر الملحون دون غيره من المصطلحات التي استخدمها الباحثون (...)» تماشيا مع ما شاع في البيئة الأدبية بالمغرب العربي، التي عنيت بدراسة هذا الشعر وجماعته وسجلته، فقد اتخذ هذا الشعر اللهجة العامية أو الدارجة أداة له وبذلك كان تعبيرا عن مزاج العامة من الناس»<sup>(1)</sup>. بحسب رؤية الدكتور عبد الله الركيبي، اختيار مصطلح الشعر الملحون دون غيره من المصطلحات الأخرى، لشيوعه في البيئة الجغرافية للمغرب العربي، كما أن الدراسات النقدية اختارت هذا المصطلح، وجعلته متداولاً في مختلف البحوث المتخصصة، إلى جانب اتخاذه اللهجة العامية كوسيلة للتعبير والتواصل.

يرى "التلي بن الشيخ" أن سبب اختلاف الباحثين في تسمية الشعر الشعبي، يعود إلى عدم وجود تحديد منهجي واضح لمفهوم مصطلح "الشعبية" في الأدب والأدب الشعبي بصفة عامة، يقول: « وبالرغم من أن الباحثين في الأدب الشعبي يستخدمون تعبير الطبقات الشعبية، مثلما يطلقون تسمية الأدب الشعبي على الإبداعات الشعبية كمسلمات أو بديهيات، فإنهم لا يتفقون عند الحديث عن الشعر الشعبي (...)» كما أن كلمة ملحون قد أطلقها البعض على الشعر دون النشر مع أن اللحن من خصائص الأدب الشعبي شعرا ونثرا، بالإضافة إلى أن اللحن يشمل كل أنواع التعبير الشعبي»<sup>(2)</sup>. من منظور التلي بن الشيخ لا يوجد اتفاق حول مصطلح الشعر الشعبي، من منظور المختصين في المجال. إضافة إلى ذلك كلمة "الملحون" هي من خصائص الأدب الشعبي ككل، بمختلف أشكاله التعبيرية، مع أن الكثير يربطها بالشعر دون سواه من الأشكال أو الأجناس التعبيرية الأخرى، في الأدب الشعبي.

يوظف الباحث المغربي "عباس الجراري" مصطلح "الزجل" مقابلا للشعر الشعبي يقول: « فإننا نفضل إطلاق الزجل على كل أنواع الشعر الشعبي (...)» وندعو إلى هذه التسمية بدلا من أية تسمية

<sup>1</sup> عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، 1983، ص:363

<sup>2</sup> التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة التحريرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، 1983، ص:366

أخرى تطلق عليه، مهما بلغت من الذيوع والانتشار»<sup>(1)</sup>. وللباحث أسباب منهجية حدت به،  
لاختيار مصطلح الزجل بدل الشعر الشعبي، هي:

- يطلق مصطلح الزجل على كل شعر، يتم نظمته باللهجة العامية، لذلك يعد الزجل الأندلسي  
مصدرا أساسيا لكل شعر ملحون.

- شيوع مصطلح الزجل، بين سائر الشعراء والنظاميين في المغرب الأقصى.

- شيوع مصطلح الزجل، في سائر بلاد الوطن العربي، بما في ذلك بلدان المغرب العربي المجاورة، وبهذا  
يمكن لمصطلح الزجل المساهمة في توحيد مصطلحات الشعر الشعبي، في بلاد الوطن العربي ككل.

ويلاحظ بأن الدكتور عبد الله الركيبي اعترض على توظيف مصطلح الزجل كمقابل للشعر الشعبي،  
حيث يعتقد بأن « إطلاق مصطلح الزجل على الشعر الجزائري الملحون لا يستقيم، لأن ألفاظه  
ليست عامية، وإنما هي مزيج بين الفصحى والعامية»<sup>(2)</sup>.

من خلال ما تقدم ذكره من آراء الباحثين المختصين، يتضح الاختلاف البين في استخدام  
المصطلحات التي تدل على "الشعر الشعبي"؛ منهم من يستخدم مصطلح الشعر الملحون، ومنهم من  
يستخدم مصطلح الشعر الشعبي، ومنهم من يستخدم مصطلح الزجل، ولكل باحث في ذلك رأيه  
الخاص المستند لاعتبارات منهجية.

واستخدام مصطلح الشعر الملحون في الجزائر بقوة، يعود إلى عدة اعتبارات علمية هي:

- شيوع استخدام المصطلح مغاريا، وعلى وجه الخصوص في الجزائر.

- يعد اللحن خاصية هامة جدا في تسمية الشعر الملحون.

- يرتبط الشعر الملحون في الكثير من الأحيان بالغناء، وهذا واضح جدا في منطقة المغرب العربي.

- لا يشترط في الشعر الملحون أن يكون قائلة أو ناظمه مجهولا؛ فالشاعر يؤكد اسمه في آخر القصيدة.

كما يؤكد أيضا تاريخ نظمته للقصيدة، وهي الخاصية الأساسية التي يختلف فيها الشعر الملحون، عن  
السرد الأدبي الشعبي.

<sup>1</sup> عباس الجزائري: الزجل في المغرب، دار توبقال للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء - المغرب، الطبعة الأولى، 1997، ص: 363.

<sup>2</sup> عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، ص: 53.

## ج/نشأة الشعر الملاحون المغاربي:

يذهب الكثير من الباحثين إلى الاعتقاد بأن الشعر الملاحون ظهر في منطقة المغرب العربي، مع ظهور الفتوحات الإسلامية، وازداد انتشاره ورسوخه مع مجئ "الهلالين"، الذين أسهموا كثيرا في نشر اللغة العربية في الجزائر، وبعض بلاد المغرب العربي.

يرى الدكتور عبد الله الركيبي، أن الشعر الملاحون في الجزائر وسائر بلاد المغرب العربي، تأثر بقدم قبائل "بني هلال" أراضي المغرب العربي، حاملين معهم لهجاتهم العربية المتعددة. وتغلغلوا في مناطق الجزائر والمغرب العربي حيث أثروا فيها بلهجاتهم العربية تأثيرا كبيرا، لاسيما المناطق الجنوبية والداخلية<sup>(1)</sup>.

ويرى "محمد المرزوقي" بأنه لم يتم العثور على أي نص شعري نظم باللهجة العامية، يعود إلى ما قبل منتصف القرن الخامس للهجرة؛ أي قبل تاريخ قدوم بني هلال أراضي المغرب العربي. لذلك فقبائل بني هلال أدت دورا هاما في تطوير الشعر الملاحون. « وكثرة أولئك الأعراب وتغلبهم على إفريقية وانتشارهم في مناكبها عرب البلاد، وأذاب أو كاد يذيب العنصر البربري الأصيل، في العنصر العربي المتغلب. فسادت لغتهم وانتشر شعرهم، ولم يبق -بعد نحو قرن من استقرارهم بالبلاد-، مكانا للشعر الفصيح، إلا في الحواضر حيث توجد الثقافة ودواليب الحكم»<sup>(2)</sup>.

ويؤكد التلي بن الشيخ بأنه يصعب جدا، الوصول إلى رأي قاطع وحاسم، بشأن نشأة الشعر الشعبي في منطقة المغرب العربي، نتيجة انعدام نصوص مادية تثبت ذلك. ويعلل غياب هذه النصوص، قبل الهجرة الهلالية بأحد الاحتمالين الآتين:

-تطرق الشعر الملاحون لأغراض شعرية استهجنها الدين الإسلامي، كالاftخار بالقبلية والأنساب والعشيرة، وشيوع الغزل الماجن في ثناياه أحيانا، مما أدى إلى زهد الشعراء في نظم هذا النوع من الشعر الشعبي.

<sup>1</sup> يراجع في ذلك المرجع السابق، ص:368.

<sup>2</sup> محمد المرزوقي: الشعر الشعبي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، -تونس، الطبعة الأولى 1993، ص:54.

- غياب الكتابة والتدوين نتيجة انتشار الأمية، مما أدى إلى ضياع هذا الشعر، لاسيما بعد وفاة رواه وحفظته الذين كانوا يضمنون استمرار هذا الشعر، وتواصله بين الأجيال.

ينطبق الاحتمالان على الشعر الشعبي البدوي في البيئة المغاربية، أما الشعر الشعبي الذي ساد في المناطق الحضرية، فيرجع أغلب الدارسين تأثره بالموشحات والأزجال الأندلسية، التي حاول الشعراء المغاربة محاكاتها وتقليد طرائق نظمها، والنسج على منوالها. وهو رأي "ابن خلدون" إذ يقول: «وما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، وأخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه (...) نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا»<sup>(1)</sup>.

بعد مرحلة المحاكاة والتقليد، استقل الشعر الشعبي المغاربي عن الأزجال والموشحات، حيث استخدم سكان المغرب العربي أساليب شعرية جديدة ك"عروض البلد"، وهو الأسلوب الذي يقول عنه ابن خلدون: «ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فنا آخر من الشعر في أعارض مزدوجة كالموشحة، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضا وسموه "عروض البلد"، وكان أول من استحدثه رجل من الأندلس نزل بفاس يعرف بابن عمير. فاستحسنه أهل فاس، واستفحل فيه كثير منهم»<sup>(2)</sup>. فهذا الشعر (الشعر المغاربي الملحون)، عرف قفزة نوعية، وتطورا هاما، بعد زحف قبائل بني هلال على أراضي المغرب العربي، ومع الشعوب الإسلامية النازحة من الأندلس (الموريسكيون)، بعد سقوط "غرناطة" -آخر ممالك الأندلس-، بيد القشتاليين المسيحيين.

#### د/أنواع الشعر المغاربي الملحون:

يمكن تمييز نوعين من الشعر الملحون المغاربي هما: الشعر الملحون البدوي، والشعر الملحون الحضري. ويختص هذا التقسيم بطبيعة خصوصية كل قطر من أقطار المغرب العربي. وباقي التقسيمات الأخرى للشعر الملحون المغاربي، لا توجد لدى كل الدارسين، حيث تتعلق التفرعات الإضافية الأخرى، بطبيعة المحيط الاجتماعي والثقافي المعيشي لكل بلد مغاربي. وكذلك تتناسب تلك التفرعات، مع طبيعة تخصص كل باحث، ومدى توسعه في دراسة الشعر الملحون المغاربي، وإلمامه بطبيعة تفاصيله

<sup>1</sup> عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نخبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، -القاهرة، د/ط، د/ت، ص: 1350

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 1357/1358

وخصوصياته الجمالية. لذلك تقسيم الشعر الملحون المغاربي إلى النوعين المذكورين، هو أكثر قابلية من الناحية المنهجية، نتيجة احتواء هذين النوعين لباقي التفرعات الأخرى، التي تظهر لدى الباحثين المتخصصين، بحسب توجهاتهم المعرفية والمنهجية.

**1- الشعر الملحون البدوي:** يسود أكثر هذا النوع من الشعر في المناطق الصحراوية والمناطق الداخلية لدول المغرب العربي، يتميز بلغة قوية وفصيحة، يوظف الأمثال والتعابير الوصفية، تكاد بنيته الفنية وقوة لغته وتصويره تشابه إلى حد بعيد الشعر العربي الجاهلي. كما يمتاز بتعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، من غزل ووصف ورثاء وفخر وفروسية... إلخ. حيث أدى تشابه البيئة الاجتماعية والقبلية في مجتمعات المغرب العربي، إلى تقارب نوعي بين نظم شعراء الشعر الملحون، وقصائد الشعراء العرب القدامى.

كما تجدر الإشارة إلى تأثير الشعر البدوي الملحون، بشعر شعراء قبائل بني هلال، الذين وفدوا أراضي المغرب العربي، مع الهجرة الهلالية المعروفة، حيث حاول شعراء المغرب العربي، محاكاة النمط الشعري للشعر الهلالي.

**2- الشعر الملحون الحضري:** ينتشر هذا النوع في المدن والحضائر السكنية، فانعكست طبيعة البيئة على نوعية الشعر الملحون، من حيث الموسيقى ورقة الأسلوب، وتنوع الإيقاع، وحرية الخيال؛ إذ يميل الشعراء الحضريون إلى التفتن في القافية والوزن، والليونة والسهولة في الألفاظ والتعابير، بحكم النشأة الحضرية للشعراء المغاربة الذين ينظمونه، فاكتملوا بذلك عادات المدن الحضرية المغاربية، وطبيعة أذواق أهلها، الشيء الذي يرجح تأثير الشعر الحضري المغاربي، بالأزجال والموشحات الأندلسية.

## المحاضرة السادسة

### الأغاني الشعبية المغاربية ومجالاتها

مثلت الأغنية الشعبية في الثقافة الشعبية ككل، وفي الثقافة الشعبية المغاربية على وجه الخصوص، شكلا مميزا من أشكال التعبير الثقافي والفني في المجتمع. وهذا لأنها تتوغل بالكلمة واللحن والموسيقى، التي غالبا ما ترافقها.

#### 1-تعريف الأغنية الشعبية Folk Song:

الأغنية الشعبية هي الشعر الشعبي والموسيقى والإيقاع اللذان يصاحبانه. تردده الجماعات البشرية التي ينتشر أدبها الشعبي وثقافتها الشعبية، بالرواية الشفوية، دون اعتماد الكتابة والتدوين وأساليب ووسائل الطباعة والنشر والتوزيع. والأغنية الشعبية كغيرها من الفنون الثقافية الشعبية الأخرى، التي تعتمد الكلمة عادة في التعبير، تعيش وتتطور، تنتقل بين الأفراد والجماعات، والبيئات الاجتماعية المختلفة، والأجيال بواسطة الرواية الشفوية. وقد لاحظ الدارسون والمختصون أن المغنين الذين يبدعون الأغنية الشعبية، لا يعتمدون الكتابة والتدوين، حتى ولو كانوا على درجة من التعليم والثقافة، لأن الأغنية الشعبية، تدرب فنانوها ومؤدوها على طريقة السماع. لذلك مثلت جانبا هاما من جوانب الفولكلور، « وهي قصيدة شعرية ملحنة، تعتمد موسيقاها على السماع وليس على نوتة موسيقية مكتوبة. وهي مجهولة النشأة وترتبط بالشعب وتنتشر وتشيع بين الأميين والعامة من الناس، ساكني الأحياء الشعبية والمدن. وكذلك العمال في أزمنة ماضية، وبقيت متداولة في أزمنة طويلة»<sup>(1)</sup>.

#### 2-سمات الأغنية الشعبية المغاربية:

-الرواية الشفوية والانتشار: هي سمة أساسية وهامة تتميز بها الأغنية الشعبية المغاربية، حيث تنتشر عن طريق الرواية الشفوية؛ « فكل فرد في الجماعة التي تتذوقها يسهم في حفظها ونشرها. وكثيرا ما يشترك أهل القرية جميعا، في علمهم بأغانيهم الشعبية»<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> حسين عبد الحميد رشوان: الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، دار الانتصار للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1993، ص: 114.

<sup>2</sup> عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، ص: 74.

**-الحفظ والذاكرة الجيدة:** تمثل الذاكرة الواعية قدرة هامة، على حفظ ألحان الأغنية الشعبية. كما تعد الكلمة « مزية أعظم من حسن الصوت في كثير من الظروف وعند الكثير من الشعوب؛ فالحافظة الجيدة لها مكانة الصدارة بين المؤهلات الواجب توفرها، في المغني الشعبي»<sup>(1)</sup>. ولا تشذ الأغنية الشعبية المغاربية، عن هذه القاعدة الجمالية، كونها تعتمد الذاكرة الواعية والحفظ الجيد، للإبقاء على ذاتها، ثم انتشارها بعد ذلك في الأوساط الاجتماعية.

**-التمائل الشعبي:** هي ظاهرة من أهم الظواهر التي تتميز بها الأغنية الشعبية المغاربية. حيث لاحظ الدارسون المختصون، التماثل في اللحن لهذه الأغنية الشعبية المميزة. كما لاحظوا هذا التماثل في مختلف الصور المتضمنة في الشعر، بين الأغاني رغم اختلافها فيما بينها، من حيث الخصوصية الحضارية، ومن حيث الانتماءات الاجتماعية. فأغاني الأطفال على سبيل المثال، تكاد تتماثل وتتشابه، بين مختلف أطفال شعوب العالم. والأمر ذاته ينطبق على أغاني الحب ، وسائر الأغاني العاطفية، وأغاني العمل، وأغاني المناسبات. بالإضافة إلى خصائص فنية أخرى وجمالية، تشترك فيها الأغنية الشعبية المغاربية، مع باقي أشكال التعبير الأدبي الأخرى، في الأدب الشعبي المغاربي.

### **3-نشأة الأغنية الشعبية المغاربية:**

تعد الأغنية الشعبية المغاربية من فنون التعبير الجمالي، التي زخر بها الأدب الشعبي المغاربي. حيث تطورت مع تطور، فنون الرقص والطقوس الفنية الأخرى المصاحبة لها. وارتبطت في بداياتها الأولى بجوانب روحانية متعلقة بالعقائد الدينية والطقوس الشعائرية، حيث أدت دورا هاما، تمثل في إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والروحية لأبناء المجتمع. ويلاحظ أن الأغنية الشعبية المغاربية، « لا تتوقف على المواضيع الروحية فحسب، بل تمتد إلى المواضيع الدنيوية والمحرمة»<sup>(2)</sup>. وفي أصل نشأة الأغنية الشعبية المغاربية، فقد نشأت وتطورت مع نشأة وتطور الشعر الشعبي المغاربي. حيث يلاحظ

<sup>1</sup> المرجع السابق ، ص:74

<sup>2</sup> إبراهيم الحميدري: أنثروبولوجيا الفنون التقليدية، دار اللادقية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1984، ص:112

تداخل الشعر الشعبي المغاربي مع الأغنية الشعبية المغاربية، « فكثير من الأشعار الشعبية تردد على الألسنة، دون تلحين، ثم تلحن تلقائيا بعد ذلك في بعض الأحيان»<sup>(1)</sup>.

وفي قراءة تاريخ الأغنية الشعبية المغاربية، يلاحظ أنها تمثل طبيعة في النفوس. كما أنها لسان العواطف ولغة القلوب. وغالبا ما كان يميل العرب، وكذا سكان منطقة المغرب العربي، إلى الحب واللذة، وسائر فنون الطرب والشعر، إلى جانب التعابير البسيطة من حكم وألغاز. «كما كان للشاعر مكانة اجتماعية سامية في كل مكان، سواء أكان ناظما أم موسيقيا»<sup>(2)</sup>. وفي رأي بعض الباحثين العرب المتخصصين، يذهب الاعتقاد بداية، إلى إيقاع "الحذاء"، الذي تتصف به حوافر الإبل وهي تعبر الصحراء منتظمة في شكل قوافل. ويمثل كذلك غناء القافلة أيضا، خلال سفرها في الصحراء. بحكم أن "الحذاء" إيقاع خفيف من بحر الرجز، مما جعله (الحذاء) أشد الأنواع الإيقاعية ملائمة للغناء الشعبي، المتسم بالارتجالية في الكثير من الأحيان.

#### 4- أصناف الأغنية الشعبية المغاربية ووظيفتها:

هناك أصناف متعددة للأغنية الشعبية المغاربية، حيث تحقق تطابقا نوعيا مع الأغنية الشعبية العربية بصفة عامة في المشرق العربي. وتتمثل هذه الأصناف في:

- 1- التهاليل: هي أغاني تغنى للطفل.
- 2- المهااة: وهي زغاريد تطلق في المناسبات الاجتماعية، كالأفراح مثلا.
- 3- أغاني الأعراس: وتشمل أغاني شعبية تؤدي في الخطبة، والحناء، والحمام، والزفاف،... وشتى أنواع الأفراح.
- 4- أغاني الختان.
- 5- أغاني العمل: وهي كثيرة الأنواع منها: أغاني الحراثة، أغاني الحصاد، أغاني التوريد كتوريد الماشية، أغاني الدراسة كدرس القمح والشعير، أغاني الخضاض وتؤدي أثناء خض اللبن، أغاني القصاص وتؤدي أثناء قص الصوف والشعر والوبر، أغاني الغزل والنسيج تؤدي أثناء غزل الصوف والشعر

<sup>1</sup> محمود مفلح بكر: البحث الميداني في التراث الشعبي، ص: 86

<sup>2</sup> هنري جورج فارمر: تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث الهجري، ترجمة: جريسيس الله المحامي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1982، ص: 58

ونسجته، أغاني القرى وتؤدي أثناء إعداد طعام الأعراس والختان...، أغاني الطحن تؤدي أثناء جرش الحبوب وطحنها بالجاروشة، أغاني الباعة المتجولين، أغاني الشحاذين...

6- أغاني السمر: وهي نوع من الأغاني الشعبية الاجتماعية، وغالبا ما تكون متنوعة، تؤدي عادة دون موسيقى، وتؤدي في بعض الأحيان ببعض الآلات الموسيقية كالربابة والدف والعود والشبابة والمجوز...

7- أغاني الرقص: هي أغاني شعبية ومتنوعة، شائعة في الأوساط الاجتماعية المغاربية، كأغاني السحجة البدوية، أغاني اللفحة، أغاني الدارة، أغاني الرقصات الدينية على كثرتها وتنوعها، بحكم الوازع الديني القوي، الذي تتميز به منطقة المغرب العربي. وأغاني الدبكة، وتشاع عادة في البيئة المشرقية العربية، لاسيما في بوادي ومدن الشام ككل.

8- أغاني المحترفين: وهي أغاني منتظمة يؤديها مغنون شعبيون، يحترفون مهنة الغناء لكسب عيشهم. وعادة ما يؤديونها في مناسبات معينة، كالأفراح والأعياد الوطنية والدينية.

9- العديد: هي أهازيج ومواويل تؤدي في الأحزان، وما يرافق العديد من حركات. وهو أنواع: عديد إعلان الوفاة، عديد الجنازة، عديد القبور، عديد المآتم.

10- الأغاني الدينية: تشمل هذه الأغاني عادة، الجوانب الدينية الصرفة بطابع شعبي، وتشيع في الديانة الإسلامية والديانة المسيحية على حد سواء، كأغاني القصص الديني، المدائح النبوية، أغاني أصحاب الطرق، الابتهالات، الأغاني والأهازيج الكنسية.

11- أغاني الأعياد والاحتفالات: وهي أغاني شعبية متنوعة، تشيع كثيرا في منطقة المغرب العربي، كأغاني الإسراء والمعراج، أغاني قدوم شهر رمضان، أغاني السحر، أغاني الأعياد الدينية كعيد الفطر وعيد الأضحى، أغاني الحج، أغاني رأس السنة الهجرية، أغاني رأس السنة الميلادية، أغاني عاشوراء، أغاني الحج المسيحية، أغاني الأعياد المسيحية، أغاني النيروز، أغاني اكتمال القمر عندما يصير بدرا وتسمى أغاني القمر، أغاني الخسوف (خسوف القمر)، أغاني المصنع وهي أغاني وأهازيج شعبية شائعة، في مناطق الجولان المحتل بسوريا.

## 5-دواعي وجود الأغنية الشعبية المغاربية:

هناك عدة دواعي أدت إلى وجود الأغنية الشعبية المغاربية، في الآداب الشعبية عامة، وفي الأدب الشعبي المغربي على وجه الخصوص. وهذه الدواعي متعلقة أساسا، بطبيعة المناسبات التي تؤدي فيها الأغاني الشعبية، وهي كالاتي:

1- المناسبات المرتبطة بدورة الحياة: هناك أغاني عديدة، مثل أغاني الميلاد، الختان، الخطوبة، الزفاف، البكائيات. وهناك أغاني متعلقة بالمناسبات الدينية مثل أغاني المولد النبوي الشريف، أغاني الحجاج في ذهابهم إلى الأراضي المقدسة لأداء مناسك الحج أو العمرة، والعودة منهما. أغاني العمل وهي متنوعة، منها أغاني منتظمة الإيقاع وأخرى غير ذلك.

2- أغاني شعبية تؤدي بحسب البيئات والجماعات البشرية المختلفة، كأغاني البدو، أغاني المحرودة، أغاني الغنيوة، أغاني الشتيوة، وأغاني محرودة العصا،... وغيرها من الأغاني الأخرى المنتشرة في منطقة المغرب العربي.

ورغم أن تصنيف الباحثين المشاركة، بشأن دواعي وجود الأغنية الشعبية بشكل عام، جاء محمدا يختص بطبيعة بيئاتهم فحسب، وفق رؤية كل باحث؛ فتصنيف الدكتور "نبيلة إبراهيم" يبدو شموليا إلى حد ما، ويلائم سائر البيئات العربية، بما في ذلك بيئة المغرب العربي. لأن هذا التصنيف يعتمد الوظيفة المنوطة بالأغنية الشعبية، ودواعي وجودها. وفي هذا الصدد تختار الباحثة ثلاثة أقسام للأغنية الشعبية العربية وهي:

1- أغاني المناسبات الاجتماعية: في حال الحديث عن أغاني المناسبات الاجتماعية، من حيث الدور والوظيفة، ودواعي وجودها؛ فإن ما يمكن قوله هو : أن هذه الأغاني هي تلك التي تؤدي في كل مناسبة اجتماعية، مثل أغاني الزواج، أو الختان، أو أسبوع الطفل الحديث الولادة. أو أغاني الحج، أو الموالد (الاحتفالات)، أو أغاني للأولياء الصالحين،...

2- أغاني العمل: دواعي وجود مثل هذه الأغاني، هي حث الناس على العمل والإنتاج. لذلك تكون أغنية العمل تفتقد أحيانا للوحدة الموضوعية؛ لأن فترة العمل الزمنية تطول أحيانا، فيضطر

المغني إلى إضافة كل ما يلائم الأغنية من كلمات وألحان، تكون متناسقة مع طبيعة الأغنية ووظيفتها. وقد يتغنى الناس أيضا بكلمات تفيد بطبيعة ونوعية العمل الذي يقومون به. ومن الممكن أن يصاحب العمل، غناء فردي يستمع إليه الناس، فيطربون له، وينال إعجابهم؛ فيقبلون على العمل بحماس فياض، متناسين بذلك مشقته وعناءه<sup>(1)</sup>.

3-الموال: الموال في الأغنية الشعبية عامة نوعان: الموال الأخضر وهو الموال الذي يشيد بالنضرة والجمال والحياة والحب والتفاؤل. والموال الأحمر وهو الذي يتحدث من خلاله الإنسان الشعبي، عن لوعته وآلامه، لخوفه من ضياع القيم الأخلاقية والإنسانية في المجتمع<sup>(2)</sup>. ومثل هذه الأنواع من الموال، موجودة وشائعة في العديد من طبوع الأغنية الشعبية المغاربية، كالغناء الشعبي المعروف، المديح، الحوزي، الأندلسي، الغناء الشبابي كأغنية "الراي" الشائعة أكثر في الغرب الجزائري، والشرق المغربي. إن الجانب الوظيفي والفني في الأغنية الشعبية المغاربية، أقوى وأعقد مما هو عليه، في الأغنية الفنية المصقولة؛ « ذلك لأن دورة الحياة عند كل إنسان لا بد أن تصاحبها الأغنية الشعبية. إنها تستقبل المولود الجديد، وتهدهد الطفولة، وتحتفل بحفظ النوع الإنساني. إنها تسير العمل مسيرة دقيقة»<sup>(3)</sup>. فهي بذلك جزء لا يتجزأ من التقاليد الاجتماعية الشعبية. وتعبّر عن التغيرات الحاصلة في الظواهر الاجتماعية. وتودع أحيانا الكائن البشري، إلى مثواه الأخير.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك كتاب الدكتورة نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص: 237/238.

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه، ص: 247.

<sup>3</sup> عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، ص: 75.

## المحاضرة السابعة

### القصص الشعبي وأنواعه

لابد من التمييز بداية بين مصطلحي "القصة" و "الحكاية"، لأن هذا التمييز هو شيء منهجي غاية في الأهمية، في موضوع السرديات القديمة والحديثة. ويبدو أن المصطلحين بداية يقعان في دائرة الترادف الدلالي، حيث يبدو الفرق دقيقا بينهما<sup>(1)</sup>.

يطلق في الغالب الأعم مصطلح "القصة" في اللغة العربية، على النسق الروائي . Le Roman ، وهي القصة التي تعتمد قواعد فنية خاصة في السرد<sup>(2)</sup>. وتعالج القصة عادة قضايا معاصرة، توحى بانتمائها إلى الواقع المعاش. لذلك فالقصة هي « نسيج سردي يختزل الخطاب إلى منطق وأفعال ووظائف، ملغيا بذلك الأزمنة ومظاهر وأنماط القصة – كما هي عند تودوروف وبارت-. فالقصة هي وصف أفعال عبر حكايات سردية، وهي الكلمات الواقعية الموجهة من الكاتب إلى القارئ»<sup>(3)</sup>.

أما مصطلح "الحكاية"، فهو مأخوذ من المعنى اللغوي « حكيت فلانا وحكايته، فعلت مثل قوله سواء لم أجازه»<sup>(4)</sup>. والحكاية هي الأحداث المروية، مع شخصيات حية متحركة، تحاكي الواقع مع ما يضيفه الراوي من خيال جمالي.

وإذا نظرنا في الفعل "حكى" الذي اشتقت منه كلمة "حكاية"، « نراه شديد الارتباط في أصله بالمشاهدة ولا علاقة له بالمكتوب، فهو يعني في الأصل قلد أو حاكى، لتطور دلالاته بعد ذلك فيصير له، معنى حدث أو روى»<sup>(5)</sup>.

**1- مفهوم الحكاية الشعبية:** يمكن حصر مفهوم الحكاية الشعبية عموما، ضمن مفهومين أساسيين؛ مفهوم لغوي ومفهوم اصطلاحي.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق – سوريا، الطبعة الأولى 2003، ص: 111.

<sup>2</sup> سمير المرزوقي، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، –الجزائر، د/ط، د/ت، ص: 16

<sup>3</sup> عزيزة مریدن: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، –الجزائر، د/ط، د/ت، ص: 16

<sup>4</sup> أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب –الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حكى، دار المعارف، القاهرة –مصر، د/ط، د/ت، ص: 753

<sup>5</sup> عز الدين إسماعيل: القصص الشعبي في السودان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة –مصر، 1971، ص: 19

-**المفهوم اللغوي:** مصطلح "حكاية" مأخوذ من « حكى يحكي كقولنا: حكيت فلانا وحاكيته أي، فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجازه»<sup>(1)</sup>. هذا تعريف لغوي أورده "ابن منظور"، في كتابه "لسان العرب"، يقصد به "التقليد". فمصدر مادة "حكى" عنده بمعنى "قلد"، و"الحكى" هو "التقليد"، أو السير على المنوال دون مخالفة أو تجاوز.

-**المفهوم الاصطلاحي:** اختلفت التعريفات والمصطلحات التي وضعها الباحثون والدارسون المتخصصون، لمصطلح "حكاية"، و"الحكاية الشعبية". ومن بين هذه التعاريف يمكن إيراد نماذج:

- يعرف "حسين عبد الحميد رشوان" الحكاية الشعبية فيقول: «تعد الحكاية الشعبية من أهم وأقدم ما ابتدعه الإنسان، فهي ذاكرة قديمة تعبر عن مشاعره وأحاسيسه وواقعه وتخيالاته؛ فهي ترتبط بالواقع، وتعطيه صيغة خيالية تأملية، لتحسن التعبير عن حدوثها في الواقع»<sup>(2)</sup>.

- ويعرف "عبد الحميد يونس" الحكاية الشعبية فيقول: «يكون اصطلاح الحكاية الشعبية فضفاضاً، يستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي، الذي تراكم عبر الأجيال والذي حقق بواسطته الإنسان كثيراً من المواقف، ورصده الجانب الكبير من معارفه. وهو ليس وقفاً على جماعة دون أخرى، ولا يغلب على عصر دون عصر آخر»<sup>(3)</sup>.

- ويعرفها "عبد الحميد بورايو" فيقول: «الحكاية الشعبية شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي، الذي يعيشه الشعب»<sup>(4)</sup>.

وفق هذه النماذج المذكورة، يلاحظ اختلاف الباحثين من حيث صياغة التعاريف الاصطلاحية، في الوقت ذاته. وهناك اتفاق نوعي حول الطابع الشعبي للحكاية الشعبية، وواقعيتها في الآن ذاته، وارتباطها بالحياة الاجتماعية للناس، وعلاقاتها الوطيدة بخصوصيات المجتمع. ومثل هذه التعاريف تنطبق إلى كبير على الطبيعة الشعبية والاجتماعية، للحكاية الشعبية المغاربية، نتيجة الاشتراك في الخصوصية الحضارية القائمة، بين الحكاية الشعبية العربية والحكاية الشعبية المغاربية. وليس بعيداً أن

<sup>1</sup> أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب - الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حكى، دار المعارف، القاهرة - مصر، د/ط، د/ت، ص: 753

<sup>2</sup> حسين عبد الحميد رشوان: الفلكلور والفنون الشعبية، منشورات المكتب الجامعي الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1993، ص: 57

<sup>3</sup> عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى 1968، ص: 11

<sup>4</sup> عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، الطبعة الأولى 1986، ص: 118

تكون هذه الخصائص المذكورة، في التعاريف الواردة مشتركة بين مختلف أنواع الحكاية الشعبية الإنسانية ككل.

**2-أنواع الحكاية الشعبية المغاربية:** يمكن ذكر بعض الأنواع للحكاية الشعبية المغاربية، وهي كالآتي:

**1-حكاية الواقع الاجتماعي:** وهي الحكاية « التي تكشف عن الصراع الطبقي، وعن علاقات الجماعة الشعبية. وتحكي عن واقع الناس ومشاكلهم»<sup>(1)</sup>. هذا النوع من الحكاية شائع في منطقة المغرب العربي ومميز. حيث يختص بحكاية واقع الناس، وملامسة طبيعة وأنماط معيشتهم. ومن الممكن أن يسود في هذا النوع من الحكاية، نوع من الخيال الشعبي أو الكثير منه، غير أن السمة الواقعية تبقى سائدة على مستوى الحكاية الشعبية المغاربية، ذات المنظور الاجتماعي.

**2-الحكاية الشعبية الأخلاقية:** هي حكاية شعبية تعرفها منطقة المغرب العربي منذ القدم، تتحدث عن تمسك أبناء المجتمعات المغاربية، بأصولهم الأخلاقية، وعاداتهم وتقاليدهم، وخوفهم من انهيار تلك القيم، والمساس بمقومات المجتمع المغاربي الحضارية. وهذا النوع من الحكاية لا يعنى فقط، بإبراز قيمة الأخلاق وأهميتها في المجتمع، إنما يدعو من ناحية أخرى، إلى التحلي بقيم أخلاقية إضافية، هي من صميم قيم المجتمع، والتي من شأنها الإسهام في تماسك المجتمع، والإبقاء على لحمته. والقيم الأخلاقية غالبا ما تميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية الأخرى، لذلك أشادت الحكاية الشعبية المغاربية بها. وتأسس نوع من الحكاية الشعبية نسب إليها، كان من صميم مخيلة المجتمع الشعبي المغاربي.

**3-الحكاية الشعرية:** يمتاز هذا النوع من الحكاية بميزتين أساسيتين، فهو « إما أن يكون كل نص الحكاية شعرا، أو أن يتخلل النص بعض المقاطع الشعرية، يؤدي نفس المعنى لنص الحكاية. وهذا يثري النص ويضفي عليه، طابعا موسيقيا إيقاعيا خاصا»<sup>(2)</sup>. يشيع هذا النوع من النصوص الشعبية، لدى الرواة المغاربة الذين يروون حكايات وقصص الغزل. ولدى أولئك الرواة الذين يهتمون بوصف

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص:184

<sup>2</sup> محمد سعدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص:66

الحبيبة، والفرس، وغيرها من الجوانب الفخرية في المجتمع المغاربي. كما يشيع أيضا في المناسبات الدينية والوعظية، وروايات السير الشعبية والمغازي والملاحم الذائعة الصيت في المغرب العربي.

#### 4-الحكاية اللغزية: تدور الحكاية الشعبية اللغزية عادة حول مجموعة من الألغاز. والملاحظ أن

الحكاية الشعبية عنت كثيرا بالألغاز منذ بداية التعبير الإنساني، « بل إن هناك حكايات عالمية لا تزال تدور أحداثها، حول الألغاز كمعضلات يطرحها العقل البشري»<sup>1</sup>. وتبدأ الحكاية اللغزية بطرح لغز، يطلب حله. وهذه تتطلب إمكانات ذهنية من جانب، ومن جانب آخر يطرح اللغز على البطل، ويطلب منه البحث عن حل له. وهذا يقتضي منه السفر والخروج من بلاده أحيانا، والمغامرة أيضا، ومواجهة الأحداث والمخاطر، في سبيل إيجاد الحل المطلوب<sup>(2)</sup>.

ولطالما انشغل الأدب الشعبي المغاربي بالحكاية اللغزية، فوجد في المخطوطات القديمة الكثير منها. كما أنها لا تزال تمثل طبعا من طبوع الأدب الشعبي المغاربي، في الكثير من المناطق الجغرافية في بلاد المغرب العربي. وعدت مجالا لاختبار الذكاء، ومجالا للحكمة واختبار الحياة، ومجالا للسمر والفكاهة،...

#### 5-الحكاية الهزلية: تعرف الحكاية الهزلية على أنها « قصة أو أحداث قصيرة منظومة أو منثورة،

وهي ساخرة بسيطة في بنائها»<sup>(3)</sup>. تدور الحكاية الهزلية عادة، حول الحياة اليومية للناس. وإذا كانت شخصيات الحكاية الهزلية، تتسم ببطء الاستجابة الشرطية لواقع الحياة، وتتخذ في بعض الأحيان هيئات مختلفة، كهيئة الحيوان مثلا وسلوكاته، فإنها تحافظ دائما على جوهرها الإنساني، من حيث الشخوص والأحداث في الكثير من الأحيان. « وتغلب على هذه الحكايات المفارقات التي تتميز بالغباء أو البلادة أو الخدعة، وقد يكون موضوعها ماجنا وهي خالية من التعقيد»<sup>(4)</sup>. ومن خصائص الحكاية الهزلية أيضا، أنها حكاية يندر فيها عنصر الخوارق، وتتخذ أسماء مختلفة، كالدعابة، والطرفة،... وغالبا ما يشيع هذا النوع من الحكاية، في بلاد المغرب العربي، نتيجة حاجة الفئات

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 108/107

<sup>2</sup> ينظر في ذلك عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص: 96

<sup>3</sup> نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، ص: 186

<sup>4</sup> عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص: 74

الشعبية لهذا النوع من الحكيم، لأنه يلي حاجات اجتماعية لديها. ويعطي إمكانات تعبيرية واسعة، للإفصاح عن مكونات الذات الشعبية المغربية.

**6-حكايات الحيوانات:** يعد هذا النوع من الحكايات، من أقدم الحكايات الشعبية في بلاد المغرب العربي، وفي سائر بلاد العالم. وغالبا ما يتكرر هذا النوع من الحكايات على ألسنة الكثير من الناس. هي حكايات توجد في كل بيئة مكانية، ولدى مختلف الأجناس البشرية من كل الأجيال والطبقات الاجتماعية. « وقد استطاعت أن تحتل مكانا ظاهرا بين الأشكال القصصية، فهي عبارة عن شكل قصصي يقوم الحيوان فيه بالدور الرئيسي»<sup>(1)</sup>. وهذا النوع من الحكايات، يقدم ذكاء الإنسان المتميز على لسان الحيوان. كما يمنح إمكانية التعبير الرمزي، ونقد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، على لسان الحيوان دون استخدام الأساليب المباشرة في التعبير.

**7-الحكاية الدينية:** وتسمى أيضا قصص أو سير الأولياء الصالحين. حيث أن فكرة الخير شغلت الإنسان منذ وجوده على ظهر البسيطة. وعبر عن هذه الفكرة، بوسائل تعبيرية شتى، كالأسطورة والخرافة، وكذا قصص الأولياء الصالحين، من خلال رؤى قصصية مختلفة. في الأسطورة تتجسد قيم الخير في الإنسان، لكن لا يمكن أن يكون أنموذجا يقتدى به، بحكم ابتعاد الأسطورة عن الواقع، واحتكامها للخوارق. لكن في قصص الأولياء الصالحين يكون الإنسان أنموذجا يقتدى به، لأن أعماله « تصلح للمحاكاة بما تتسم به من كرامات وبطولات، وغيرها من الأعمال الصالحة»<sup>(2)</sup>. ونظرا لأن منطقة المغرب العربي، تزخر بالأولياء الصالحين من ذوي الواجهة لدى الناس، فقد حيكت حولهم قصص هامة جدا، تحدثت عن سيرهم وكراماتهم وحتى بطولاتهم، في الجهاد ومقاومة المحتل. ومنهم حتى من شارك في حروب التحرير، كقصة سيدي "أبومدين الغوث الجزائري"، الذي شارك في حملات "صلاح الدين الأيوبي"، لفتح "بيت المقدس" بـ"فلسطين".

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص:29

<sup>2</sup> عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، ص:108

**8-الحكاية المثلية:** المثل الموجود ضمن الحكاية المثلية الشعبية، هو في حد ذاته حكاية. وتتسم هذه الحكاية بصغر حجمها، مع أنها توازي حجم نص حكاية طويلة. «والمثل ما هو إلا ملخص الحكاية، أو أحداث قد وقعت»<sup>(1)</sup>.

ولأن المثل يعد من أبرز وسائل التعبير والتواصل، فقد كان ولا يزال وسيلة هامة لدى شعوب المغرب العربي، في التعبير عما يريده الإنسان الشعبي المغربي، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. من هنا وجد الكثير من نماذج الحكاية المثلية في الأدب الشعبي المغربي.

**3-خصائص الحكاية الشعبية المغاربية:** للحكاية الشعبية المغاربية جملة خصائص تميزها، هي كالآتي:

-العراقة: ليست الحكاية الشعبية المغاربية، وليدة اللحظة أو موقف معين<sup>(2)</sup>، إنما انتقلت من جيل إلى جيل عن طريق الوراثة.

-الحرية: تنتقل الحكاية الشعبية المغاربية من شخص لآخر، ومن جيل لآخر بحرية مطلقة، عن طريق الرواية الشفوية<sup>(3)</sup>.

-المرونة: تتميز الحكاية الشعبية المغاربية، بقابليتها للتطور، حيث تؤدي الحياة الإنسانية والواقع المتناقض، إلى تطويرها؛ فيضاف إليها أو يحذف منها، وقد تختصر في بعض الأحيان، أو تعدل عباراتها ومضامينها، وعلاقتها على مستوى الراوي الجديد، الذي يقوم بروايتها حديثا. وهذا بحسب مزاج الراوي أو موقفه بحسب ظروفه وبيئته الاجتماعية<sup>(4)</sup>.

-فنية البناء: غالبا ما تتميز الحكاية الشعبية المغاربية، ببناء فني مميز وربط للأحداث واستطرادها، «ويحتمل السرد بالفواصل بين الجمل، والسجع والإيجاز في العبارة»<sup>(5)</sup>.

هناك خصائص أخرى تضاف للحكاية الشعبية المغاربية، منها:

<sup>1</sup> محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص: 65

<sup>2</sup> ينظر في ذلك عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص: 11

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه، ص: 12

<sup>4</sup> ينظر في ذلك حسين عبد الحميد رشوان: الفلكلور والفنون الشعبية، ص: 59

<sup>5</sup> عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص: 12

- امتزاج السرد بالخيال الشعبي وما شابه ذلك من الخوارق والعجائب، ليكون بعيدا عن الواقع.
- توجز خصائص الشخصيات ومواصفاتها في رموز، أو عبارات عامة.
- كثرة الأحداث والمغامرات، والعجائب التي هدفها غالبا إرضاء المتلقي أو المستمع.
- اعتماد البساطة والمعاني الرمزية، والمبالغة في الأحداث أحيانا، مما يقربها من الخرافة أحيانا أخرى.
- الابتعاد عن رواية التفاصيل، للإبقاء على الأبعاد الخيالية للحكاية.
- إظهار الشخصية البطولية، كشخصية شاحبة الملامح، ممثلة لمعاني البطولة والحيلة والقوة، بغرض جذب اهتمام المتلقين أو المستمعين، وتحقيق عنصر التشويق.
- تضمين الحكمة الحكائية معاني فلسفية وحكمية ، وقيم أخلاقية لإثارة اهتمام المستمعين والمتلقين.
- كما تهدف لتحقيق قيم تربوية هادفة.

## المحاضرة الثامنة

### السيرة الشعبية المغاربية

تعد السيرة الشعبية المغاربية من أهم الأنواع القصصية، ذات الأبعاد التاريخية والتعريفية. وتعد "تغريبة بني هلال" من أهم السير الشعبية المغاربية، الشائعة في البلاد العربية، وبلاد "المغرب العربي الكبير"، لاسيما في المناطق الصحراوية الجنوبية. وتعد جزءا هاما من الموروث الشعبي المغاربي، ومن أكثر السير تداولاً من السير الشعبية الأخرى.

#### 1-تعريف السيرة الشعبية:

-لغة: تؤخذ لفظة "سيرة" من الجذر اللغوي « سايرهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة، وسير السيرة أحاديث الأوائل»<sup>(1)</sup>. وفي "القاموس المحيط" «السيرة بالكسر السنة والطريقة والميزة والهيئة»<sup>(2)</sup>. ولفظة "سير" مفردتها "سيرة"، تحمل مدلولات لغوية متعددة، كأن تحمل معنى "السنة"، كأن نقول : اتخذت سنة معينة سرتها، بمعنى جعلتها سائرة بين الناس ومعروفة لديهم. ثم يأتي المعنى الثاني "للسيرة" وهو "الشيوع"، كأن نقول: سار الكلام في الناس، أي شاع بينهم وصار معروفا متداولاً. ثم المعنى الثالث "للسيرة" وهو "الطريقة"، كقولنا: سار بالناس سيرة حسنة، أي جعل لهم طريقة حسنة يسرون وفقها. ويحمل المعنى الرابع "للسيرة" معنى "الهيئة"، كقول "الله تعالى" في "القرآن الكريم"، مخاطبا "موسى" - عليه السلام:- ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾<sup>(3)</sup>.

-اصطلاحاً: تحمل لفظة "سيرة" بمعناها الاصطلاحي ومدلولها التاريخي أيضاً، معنى تصوير حياة شخصية تاريخية معروفة، وفق التطور الزمني لسيرة تلك الشخصية المراد رواية تفاصيل حياتها. ويتم هنا توضيح كل الأحداث، ذات الارتباطات المباشرة وغير المباشرة لصاحب السيرة. حيث يتم التطرق في هذه الحال لمختلف نواحي الحياة السياسية والثقافية والمذهبية للشخص المعني بالرواية عن حياته<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة سير، الجزء الخامس، ص: 903

<sup>2</sup> مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، -مصر، الطبعة الأولى 2008، ص: 827/828

<sup>3</sup> القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، سورة طه، الآية: 21

<sup>4</sup> ينظر في ذلك مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية -القاهرة، د/ط، د/ت، ص: 41.

والسيرة هي « تاريخ من حيث تناولها لحياة فرد له أهمية، في موجة الأحداث في عصره، أو جماعة لعبت في تاريخ الشعب أو الإنسانية، دورا ذا أثر»<sup>(1)</sup>. هذا الرأي ينطبق على مختلف كتابات السيرة الذاتية والغيرية، مع الالتزام بالحقيقة الموضوعية التي ينبغي إثباتها بالأدلة والقرائن.

أما "السيرة الشعبية" فهي « القصص الشعبي الذي ينمو ويعيش بدافع اللا شعور الجمعي؛ ويرتبط بتواريخ ووقائع وأحداث عن شخص أو قبيلة، تغلب عليها المبالغات والخرافات، التي تضيفها عليها المخيلة الشعبية، مما يدرجها في عالم الخرافات والأساطير»<sup>(2)</sup>.

يعتبر مصطلح "السيرة الشعبية" مدلولاً أدبياً منهجياً، لمختلف الدلالات المعرفية السابقة، المتعلقة بمصطلح "السيرة"، من الناحية اللغوية والاصطلاحية. حيث يلاحظ بقاء جانب من الدلالة التاريخية للسيرة الشعبية، وجانب آخر من دلالتها الاجتماعية. وجوانب أخرى متعلقة بفن الكتابة الروائية أو السردية. وأخرى متعلقة بالدلالات الأسطورية والملحمية والشعائرية القديمة، إضافة إلى شيء من الشعر، بعضه معروف ومتداول، والآخر يكون من نظم مؤلف السيرة<sup>(3)</sup>.

## 2-نشأة السيرة الشعبية:

تستوعب السيرة الشعبية الحكمة والتجارب الإنسانية، وتهدف إلى تحقيق المثل العليا. لذا كان من الطبيعي جداً أن يحتفل المخيال الشعبي العربي، بسيرة النبي محمد "ص". إضافة إلى ذلك، فقد عمل الوجدان الشعبي العربي، على اجتذاب المزيد من الشخصيات السيرية، التي كان من شأنها تحقيق المثل الدينية، والقيم الاجتماعية والقومية. لذلك انتشرت نماذج من السيرة الشعبية، تقوم الواحدة منها على بطل أو مجموعة من الأبطال، ذات وجود تاريخي حقيقي وفعلي. والملاحظ على هذا النماذج السيرية العربية، أنها تمجد أبطالها، لدرجة ما أنها سميت باسم البطل الرئيس، المطلع بمختلف أحداث السيرة الشعبية. ويمكن ذكر نماذج منها:

—سيرة عنتر بن شداد.

1 فاروق خورشيد ومحمود ذهني: فن كتابة السيرة الشعبية —دراسة فنية نقدية لسيرة عنتر بن شداد— دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة —مصر، 1991، ص:90

2 إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم —الأنواع والوظائف والبنيات—، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت —لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص:83

3 يراجع في ذلك المرجع نفسه، ص:32.

- سيرة سيف بن دي يزن.
- سيرة الزير سالم (المهلهل بن أبي ربيعة).
- سيرة الظاهر بيبرس (الملك الظاهر).
- سيرة الأميرة ذات الهمة (شجرة الدر).
- سيرة علي الزنبيق.
- سيرة بني هلال.
- سيرة حمزة البهلوان.

### 3- تغريبة بني هلال:

"تغريبة بني هلال" هي مجموعة من الأحداث الإنسانية المتتابعة، والتي حدثت خلال فترة زمنية معينة. جمعت هذه الأحداث إليها عناصر مختلفة من حقيقة وخيال، وتاريخ وجغرافية الأرض، والحياة البدوية في كافة تشعباتها، واتصالها المزدوج بحياة البدو والحضر على حد سواء.

واتخذت السيرة من التاريخ وطبيعة الأرض، وكذا الحياة البدوية على وجه الخصوص، إلى جانب أسماء الأشخاص والجماعات والمدن، واقعا تاريخيا لها. كما استقت مما أضافه المخيال الشعبي العربي والمغاربي على حد سواء، من خرافات وأساطير ومعتقدات شعبية، كالسحر والخوارق رؤية أسطورية لها، مثلت بعدا آخر. بالإضافة إلى استيعابها لواقع جماعاتها وقبائلها وظروفها ومسيراتها، لتجعل منه واقعا نفسيا واجتماعيا أيضا.

لقد مزجت "تغريبة بني هلال" مختلف هذه الأبعاد من « التاريخي إلى الأسطوري إلى النفسي؛ أي قيم الجماعة الحاضرة، فكانت التغريبة، وكانت الروايات الشفوية الهلالية، خاضعة كل منها لمنطق واضح هو ثبات أو حركية النص الشعبي المدون والشفهي، وصولا إلى رسم وتصوير الأحداث، وصور البطولات، التي أنتجتها ظروف القاهرة، لاسيما ظروف "نجد" المسغبة التي دفعتها نحو إفريقية كمحطة أولى. فالتغريبة تروي حركة جماعة أو مسيرة جائعة، متضررة طبيعيا من الجفاف، وسياسيا كاضطهاد

"المنتصر بالله" لها، والذي اختفى منها وبرز بشكل آخر، في ظروف الرحلة من المشرق إلى المغرب»<sup>(1)</sup>.

#### 4- لمحة عن تغريبة بني هلال:

تغريبة بني هلال هي قصة شعبية عربية طويلة، كتبت شعرا ونثرا، من أجل توضيح أحداثها ورواية التفاصيل المتعلقة بها.

عرفت منطقة المغرب العربي هجرة قبائل "بني هلال"، إلا أنها لم تبدأ من الحقبة الزمنية للعصر الجاهلي، بل كان لها وجود فعلي في الزمان والمكان قبل الفترة الجاهلية العربية، في بوادي "نجد" بـ"شبه الجزيرة العربية".

والتغريبة مقسمة إلى ثلاثة أجزاء أساسية؛ يغطي الجزء الأول وجود قبائل "بني هلال" في "شبه الجزيرة العربية". ويغطي الجزء الثاني انتقالهم بعد ذلك إلى بوادي "الأردن" و"فلسطين". أما الجزء الثالث فيتناول هجرة قبائل "بني هلال" إلى الشمال الإفريقي (بلاد المغرب العربي) مروراً بـ"مصر".

كان السبب الأول والرئيس لهجرة قبائل "بني هلال"، إلى "بلاد المغرب العربي"، هو حالة الجذب والجفاف التي حلت بأراضيهم الأصلية، بـ"شبه الجزيرة العربية"، وبالتحديد في أراضي "نجد" و"الحجاز". ولم تجد هذه القبائل من إمكانية للعيش، غير البحث عن مواطن أخرى للماء والكأ.» فكان أن أخذ "أبو زيد الهلالي" معه الأمراء الثلاثة، أبناء السلطان "الحسن بن سرحان"، وهم "مرعي" و"يونس" و"يحيى" إلى "تونس"، فيقعون في أسر "الزناقي خليفة"، هذا الأخير الذي أطلق سراح "أبي زيد الهلالي"، ليحضر فدية الأمراء الثلاثة من "نجد". إلا أنه يعود (أبو زيد الهلالي) بجيش لغزو "تونس"، وقبل الدخول يلجأ إلى حيل يستعمل فيها النساء كـ"الجازية" مثلاً، ويخلص الأسرى الثلاثة، ثم يقتل "الزناقي خليفة..."<sup>(2)</sup>.

أطلق اسم "بني هلال"، على القبائل العربية التي هاجرت من بوادي "نجد" بـ"الحجاز"، إلى أراضي بلاد المغرب العربي الكبير، بعد أن مرت هجرتها بـ"مصر" ومكثت هناك لفترة من الزمن. ورحلة قبائل

<sup>1</sup> عزى بوخالفة: تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية - مخطوط دكتوراه دولة -، جامعة الجزائر 2002/2003، ص: 55

<sup>2</sup> العربي بن عاشور: قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري - مخطوط دكتوراه -، جامعة الجزائر 2011/2012، ص: 48

"بني هلال"، رحلة جماعية كانت نتيجة عوامل وأسباب مختلفة؛ منها العامل الاقتصادي، ومنها العامل السياسي. تواصلت هجرة قبائل بني هلال على دفعات متلاحقة طيلة القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين. كانت بداية الرحلة من بوادي "نجد" إلى "العراق" ثم "الشام"، ثم استقر المهاجرون غرب وادي "النيل" ما بين الصعيد المصري، سفوح جبال "الأطلس التلي" في بلاد "المغرب العربي"، على امتداد أقطار عربية مشرقية ومغربية هي: "مصر"، "ليبيا"، "تونس"، "الجزائر".

وتعتبر هجرة قبائل "بني هلال"، من أهم وأكبر الهجرات البشرية العالمية، التي تمكنت من إحداث تغيير جذري في التركيبة البشرية للمناطق، التي هاجروا إليها. حيث استطاعت هجرة قبائل "بني هلال"، إعطاء تركيا سكانيا جديدا، وامتزاجا في الأعراق، ونسقا ثقافيا وحضاريا جديدا، مغايرا تماما للنسق الثقافي والحضاري الذي كان سائدا من قبل الهجرة. فقد حملت قبائل "بني هلال" تراثا ثقافيا ورؤية للكون، ونظاما معيشيا في حياتها اليومية. وهي السمات المعروفة لطبيعة نظام الحياة البدوية، الذي يعتمد أساسا على الرعي والحرب معا. وهو النظام الحياتي ذاته الذي عرفه "شبه الجزيرة العربية"، خلال العصر الجاهلي، وظل قائما بعد ذلك إلى فترة تاريخية، تاخمت مرحلة العصر الحديث<sup>(1)</sup>.

روى "بنو هلال" حكايات وقصص هجرتهم وحياتهم إلى المواطن الجديدة، إلى بلاد المغرب العربي، من خلال قصص ملحمة بطولية تناقلها الرواة المحترفون بلغة يومية عادية وبسيطة. وتم تسجيل هذه القصص الملحمة والبطولية في مدونات شعبية تراثية، خلال فترات تاريخية معينة. من هذه المدونات ما هو مطبوع، ومنا ما بقي مخطوطا. إلا أن الرواية الشفوية ظلت لقرون قائمة، ومثلت جزءا كبيرا من الممارسات الثقافية في العالم العربي ككل. حيث اتخذت شكل ممارسات طقوسية، يحظى راويها بالاحترام والتقدير، والتبجيل والوجاهة الاجتماعية أحيانا.

## 5- الخصائص الفنية للسيرة الشعبية: كأي فن أدبي، للسيرة الشعبية ميزات وخصائص فنية أهمها:

-الطول والضخامة والتسلسل.

1 للاستزادة أكثر يمكن مراجعة كتاب الدكتور عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي لفن القص في الثقافة الجزائرية، دار فيسيرا للنشر -الجزائر، الطبعة الأولى 2009، ص: 106/107.

-احترافية الرواية، حيث أن « للحكاية الشعبية الطويلة ذات الحلقات المعروفة، بالسيرة الشعبية، متخصصون متفرغون يحترفون حفظها، وتقديمها لجمهور المستمعين، في الأعياد والمواسم والأسواق»<sup>(1)</sup>.

-تروى السيرة الشعبية ليلا في الأغلب الأعم.

-يتلقى السيرة الشعبية صنف الرجال عادة.

-ترتبط السيرة الشعبية بالتاريخ، وشخصياتها شخصيات حقيقية، لها وجود في الزمان والمكان.

**6-الخصائص الفنية لتغريبة "بني هلال":** "لتغريبة بني هلال"، كمدونة سردية جملة خصائص فنية أهمها:

-أول ما يلفت الانتباه هو اسم "التغريبة"؛ فهي "تغريبة بني هلال"، حيث أنها لم تنسب لفرد معين أو شخص ما أو بطل ما، إنما نسبت لجماعة إنسانية لها تاريخها الخاص بها، عرفت بتواجدها العريق في "شبه الجزيرة العربية"، وبلاد "المغرب العربي الكبير". وهذا عكس السير الشعبية الأخرى، التي نسبت لأبطالها وشخصياتها. كما أن اسمها يحمل، اسم الموطن الذي هاجرت إليه قبائل "بني هلال"، وهو بلاد "المغرب العربي الكبير".

-رصد التاريخ الرسمي حركة "الهلالين"، التي مثلت موضوع "التغريبة"؛ إذ انطلقت من "المشرق العربي"، وبالتحديد من بوادي "نجد" بـ"الحجاز"، واستقرت ببلاد "المغرب العربي" بشكل نهائي.

-رصدت "تغريبة بني هلال" تنوعا هاما، للشعوب والديانات.

-تميز الصراع في "التغريبة" بين جماعتين بشريتين، من انتماء حضاري واحد، وهو الانتماء العربي الإسلامي، من أجل مصادر الرزق والعيش.

-سجل الهلاليون وقائع هجرتهم، في مدونة شعبية شهيرة هي "التغريبة"، خارج أراضيهم الأصلية (بوادي "نجد")<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص: 57

<sup>2</sup> للاستزادة أكثر، يمكن مراجعة أطروحة الدكتور عزي بوخالفة: تغريبة بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية -مخطوط دكتوراه دولة-، جامعة الجزائر 2003/2002، ص: 55.

## المحاضرة التاسعة

### الأمثال الشعبية المغاربية

#### 1- مفهوم المثل:

**- لغة:** "المثل" مأخوذ من الجذر اللغوي الثلاثي م-ث-ل، وعرفه "ابن منظور" بقوله: «..هذه مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه.. وهي الأمثال والمثل بمعنى العبرة.. والمثال المقدار وهو من الشبه. وقال أيضا: والمثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل له مثله. وفي الصحاح ما يضرب من الأمثال. قال الجوهري: ومثل الشيء أيضا صفته، قال ابن سيده: وقوله عز من قائل: ﴿مثل الجنة التي وعد بها المتقون﴾؛ قال الليث: مثلها هو الخبر عنها، وقال أبو إسحاق: معناه صفة الجنة»<sup>(1)</sup>. من هنا يمكن الاستنتاج، أن المثل في اللغة يراد به الشبه كما يراد به النظير، أو النموذج الذي يحتذى به.

**- المفهوم الاصطلاحي:** اهتم أهل البلاغة من العرب القدامى، بالمفهوم الاصطلاحي "للمثل"، وفي هذا الصدد يقول "ابن عبد ربه": «الأمثال هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء كسيرها ولا عم عمومها حتى قالوا: (أسير من مثل)»<sup>(2)</sup>. فالأمثال من منظور "ابن عبد ربه" تجمع بين جمال اللفظ وبلاغة الكلمة، كما أنها سائرة وشائعة بين عموم الناس، فهي بذلك أكثر بلاغة وتعبيرا، من أجناس أدبية أخرى كالشعر والخطابة، وأبقى منها أيضا، فصارت بذلك كلاما ماثورا متداولاً. ف"ابن عبد ربه" يؤكد بذلك «على ظاهرة سعة تداول المثل وتميزه على باقي، الأشكال الأدبية المعروفة في عصره»<sup>(3)</sup>.

ويتميز "المثل" بخصائص جمالية تميزه عن باقي الكلام وهي: إيجاز اللفظ، إصابة المعنى، حسن التشبيه، جودة الكناية. مما يمثل قمة البلاغة ومنتهاها. يقول "النيسابوري": «يجتمع في المثل أربعة لا

<sup>1</sup> أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب، الجزء السادس، مادة "مثل"، باب "الميم"، ص: 4132/4133

<sup>2</sup> أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1982، الجزء الثالث، ص: 63

<sup>3</sup> عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، -الجزائر 2007، ص: 58

تجتمع في غيره من الكلام هي: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة»<sup>(1)</sup>. هذه الخصائص، تجعل من المثل سبكا من حيث البلاغة، ودائم الاستمرارية والانتشار. وفي تعريف المثل أيضا، يقول "التلي بن الشيخ": «المثل جملة أو جملتين تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة. إن المثل الشعبي تقطير أو تلخيص لقصة أو حكاية ولا يمكن معرفته إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية، التي يعبر المثل عن مضمونها»<sup>(2)</sup>.

يمثل المثل الشعبي المغاربي، الحصيلة الشفوية لخبرة شعوب المغرب العربي اليومية. كما يمثل التجربة السلوكية لحياة الشعوب المغاربية. والتعريفات السابقة مهما كانت طبيعة اختلافها، من حيث النمط الفكري والمعرفي، أو الزمان والمكان، فإنها تتفق في بعض جزئياتها، سواء تعلق الأمر بالمثل الشعبي العام، أم المثل الشعبي المغاربي؛ لأن أصول النشأة تبقى واحدة، والمصدر واحد هو الشعب المغاربي. والحقيقة الواضحة هي أن الأمثال الشعبية المغاربية العامة، تختلف مع الأمثال الشعبية المغاربية الفصيحة من الناحية الشكلية، وهذا يعود إلى طبيعة اللهجة أو اللغة التي صيغت بها الأمثال. وتبقى السمات الأخرى لا تمثل اختلافا كبيرا، من حيث طبيعة المثل الشعبي. وتجمع التعريفات السابقة، على الطبيعة الشعبية للمثل بصفة عامة، من حيث دلالات المثل الشعبي المعنوية، وطبيعة صياغته العفوية البعيدة عن التعقيد، والتي تجعل من المثل الشعبي في منطقة المغرب العربي، مستساغا من حيث الفهم والرواية المتداولة على الألسنة.

## 2- نشأة المثل الشعبي المغاربي:

لابد من التأكيد بداية على أن المثل الشعبي بصفة عامة، تولد في سياق كلام، وضمن لحظة زمنية مميزة، ليكون جملة تتسلل من ركام الكلام، تطفو على السطح باعتبار المثل علامة قولية مميزة<sup>(3)</sup>. لا يكون المثل بدءا إلا من قبيل الإبداع الفردي، والدليل على ذلك هو أن الفرد في بعض الحالات، «قد يصدر عنه قول يصير بعد ذلك مثلا، ثم يختفي اسمه أو يطمس أو يشطب حقه في الاختراع

<sup>1</sup> أبو الفضل أحمد بن محمد النسابوري: مجمع الأمثال، المجلد الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، د/ت، ص: 14

<sup>2</sup> التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، الطبعة الأولى، 1990، ص: 19

<sup>3</sup> ينظر في ذلك ناجي التباب: المثل الشعبي - عراقية الحديث وحداثة العريق -، مطبعة التفسير الفني، صفاقس - تونس، الطبعة الأولى 2008، ص: 30/29.

لسبب من الأسباب، فيعزى قول ذلك إلى الجماعة التي كان ينتمي إليها<sup>(1)</sup>. يزداد انتشار المثل الشعبي، ما دامت هناك حاجة لاستخدامه. وطبيعي جدا أن المثل الشعبي المغاربي، كان من إبداع فرد أو أفراد معينين، ثم نسب بعد ذلك للمجتمع الذي نشأ فيه، نتيجة اندثار اسم الشخص الذي أبدعه، لسبب من الأسباب. وهو يعرف انتشارا متزايدا في الحياة اليومية للناس، بحسب حاجة المجتمعات المغاربية، لاستخدام ذلك المثل، في مواطن معينة. وبذلك يكتب للمثل الشعبي المغاربي، العيش والتعايش مع الأجيال المتلاحقة، والتي عادة ما تكون بحاجة، للاستشهاد به واستخدامه، بحسب ملائمة طبيعة مغزاه للفترة الزمنية، والظروف الجغرافية المشابهة لطبيعة الحال، التي قيل فيها ذلك القول الذي صار مثالا فيما بعد. «فالأمثال هي نتيجة معاناة الإنسان مع بيئته، وتمرس أقوام بحياة أذاقتهم حلوها ومرها، وضاقوا بضروب أفانينها ذرعا، فأطلقوها أقوالا مجلجلة تعبر عن مكنونات الصدور، مما فيها من أحاسيس سرعان ما تناقلتها الألسن، وترددها الشفاه في كل مناسبة شبيهة بالتي قيلت فيها»<sup>(2)</sup>. من هنا يكون المثل، هو نتاج التجربة الإنسانية وفق طبيعة الاحتكاك، بالبيئة والمحيط الاجتماعي والجغرافي. ونتيجة لهذه التجارب، كانت الأمثال الشعبية في منطقة المغرب العربي، تعبر عن التجارب الخصوصية، لسكان المنطقة وفق طبيعة تعاطيهم مع محيطهم الجغرافي، ووفق أنماط معيشتهم اليومية. لذلك لا يستدعي المثل «إحاطة بالعالم وشؤونه، ولا يتطلب خيالا واسعا عميقا، وإنما يتطلب تجربة محلية في شأن من شؤون الحياة»<sup>(3)</sup>. فتبدو بذلك الأمثال الشعبية المغاربية، في حال حصرها ضمن بيئة المغرب العربي الاجتماعية، وضمن فترة تاريخية معينة، سلسلة من الأقوال اللغوية الدالة، التي تنتمي وتعتبر عن نسق حضاري يختص ببيئة المغرب العربي الكبير.

وعادة ما يتميز هذا النسق الحضاري، بنوع من الانغلاق النسبي، بغرض المحافظة على حدوده الشكلية، كاشفا بذلك «عن الأوضاع الحضارية والقيود الاجتماعية، والقيم التي يؤمن بها الأفراد المستعملون للأمثال ومستهلكوها»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 35

<sup>2</sup> مراد جولي: الأمثال المقارنة، منشورات دار المراد، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1998، ص: 08

<sup>3</sup> أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1979، ص: 64

<sup>4</sup> عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، ص: 62

من هنا يتضح أن استمرارية الأمثال الشعبية المغاربية، عبر العصور يعود الفضل فيها، إلى شعوب منطقة المغرب العربي، التي وضعت أمثالها لحكم ما، ولأسباب موضوعية اقتضت وضعها، ولأحداث أفرزت وجود تلك الأمثال. وكانت دائرة الأمثال الشعبية المغاربية، تتسع أحيانا وتضيق أخرى، بحسب ما تهدف إليه من تصويب للأوضاع الاجتماعية في المغرب العربي،» ومن توجيه للناس إما للحفاظ على تلك الأوضاع، أو معالجة المشاكل التي تعترضها»<sup>(1)</sup>.

### 3-المثل الشعبي العربي:

بدراسة الأمثال الشعبية العربية منذ العصر الجاهلي، يلاحظ بأنها أمثال مستقاة من الحياة البدوية المادية والمعنوية للإنسان العربي. لذلك فهي أمثال من نتاج البيئة العربية الصحراوية وما تمثله من جفاف أرضها، ونصاعة سمائها، وما حملته من حيوانات أليفة ومفترسة، ونباتات، وعادات وتقاليد العرب وقتها. وما كانوا يقدمون عليه، من حروب وغزوات. وما اتصفوا به من جود وكرم وشجاعة وإقدام ساعة الخطر، إلى جانب العزة وإغاثة الملهوف، والعصبية القبلية،... وغيرها من سائر الخصال التي عرف بها الإنسان العربي وقت الجاهلية.

لذلك كانت للعصر الجاهلي رؤيته وفلسفته الخاصة، لأنها مرتبطة بالممارسات الأخلاقية الواقعية، البعيدة عن الأبعاد الماورائية؛ ومن هنا يكون المثل الشعبي العربي، خلاصة تجارب الحياة العربية القديمة، وتسجيل لحياة الإنسان العربي الثقافية والفكرية، وما تعلق بها من عناصر مادية.

وأغلب الأمثال العربية المسجلة، في كتب الأمثال القديمة والمصنفات المعروفة، مأثورة عن العصر الجاهلي العربي. ولا ينفي هذا وجود أمثال عربية أخرى تأثرت بـ"الإسلام" بعد مجيئه، متخذة من "القرآن الكريم" و"السنة النبوية الشريفة" مرجعا عقيدا وأخلاقيا لها. وعندما ظهرت الفتوحات الإسلامية، في عهد الخلفاء الراشدين، والعصر الأموي والعباسي، اختلط العرب بغيرهم من هذه الأمم الأجنبية، فظهرت أمثال عربية "مولدة"، هي نتاج البيئات الجديدة التي فتحها العرب، وصارت ضمن ملكهم وخلافتهم. فالأمثال العربية الفصيحة والقديمة، التي وصلت العصر الحديث، هي أمثال

<sup>1</sup> سميج عاطف الزين: الأمثال والمثل والتمثل والمثالات في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية 2000، ص:12

بلغة "قريش"، بينما الأمثال الشعبية الأخرى، التي جاءت باللهجات العامية، ارتبطت بتاريخ نشأة وتطور اللهجات العامية، في مختلف الأقطار العربية مشرقية ومغربية. «فالبعض يرى أن اللغة التي وصلتنا عن الجاهلية وصدر الإسلام، وعصر الدولة الأموية والعباسية، ليست لغة العامة، وإنما لغة الشعراء والكتاب. أما العامة فكانوا يتحدثون لغة أو لهجة عامية، نشأت من تزاوج العربية الفصحى، ببعض اللهجات الدخيلة عليها. وأن الكتاب كانوا يفصحون ما يروى على ألسنة العامة في كتبهم»<sup>(1)</sup>.

لا يؤكد هذا الرأي غير اختلاف لغة البادية العربية، عن لغة الحضر. كما يؤكد اختلاف استخدامات اللغة من بلد إلى بلد آخر، غير أن هذه الاستخدامات بقيت جميعها متضمنة في إطار اللغة العربية، وليست مجرد لهجات مستقلة بمفرداتها وألفاظها عن اللغة العربية الفصحى، التي كتب بها الشعراء والكتاب أعمالهم الأدبية.

والملاحظ من الرأي دائماً، أن اللهجة العامية ازدهرت وتطورت، خلال فترات ضعف الخلافة الإسلامية، عندما بدأت اللغة العربية الأصيلة، تواجه لغات أخرى أجنبية، كاللغة التركية التي صارت فيما بعد، لغة رسمية بالنسبة للحكام والأمراء ومن والاهم. وبدأت اللهجات العامية تتشكل لعدة أسباب ونتيجة تأثيرات عديدة، كتأثر اللغة العربية الأصيلة بلغات البلدان المفتوحة، ثم تأثرها بلغة الشعوب المستعمرة، التي غزت البلاد العربية في عصور ضعفها، وهو ما حدث فعلاً، في بلاد المغرب العربي، التي تأثر سكانها كثيراً باللغات المحلية كـ"اللغة الأمازيغية" بداية، ثم باللغات الأوروبية الأخرى، للدول المستعمرة، التي غزت بلاد المغرب العربي، كاللغة الفرنسية، واللغة الإيطالية، واللغة الإسبانية. ربما لهذه الأسباب جاءت اللهجات العامية للدول العربية، مختلفة عن بعضها البعض، مما أنتج ظاهرة اللهجات العربية المحلية.

ولا يشمل هذا الخلاف سائر الظواهر اللغوية، غير أن أكثره تمثل في معاني بعض المفردات العامية، ومخارج أصوات الحروف، وطبيعة لكنة المتحدث بتلك اللهجة. «وقد استتبع ذلك خلاف جوهري في

<sup>1</sup> حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة - مصر 1997، ص: 33.

لغة الأدب الشعبي، ومن ثم في الأمثال الشعبية، التي عرفت تطورا حسب اللهجة العامية، في كل إقليم من الأقاليم العربية»<sup>(1)</sup>. لذلك فالأمثال الشعبية العربية، قيلت باللغة العربية الفصحى حين سادت اللغة العربية الفصحى. ثم قيلت باللهجات العامية العربية، في فترات زمنية متأخرة، وهي جميعها « ناتجة عن تجارب إنسانية، فردية أو جماعية، عميقة الجذور في شعب معين»<sup>(2)</sup>.

وإذا كان من الصعوبة البحث، في الأصول الأولى للأمثال الشعبية، لاسيما من حيث النشأة، لأن المثل لا يمكن له أن يكون مثلاً، إلا إذا سار وشاع بين أفراد المجتمع. وهذا لا يمكن له أن يكون إلا بعد فترة زمنية، قد تطول وقد تقصر؛ إلا أنه يمكن البحث في الأمثال الشعبية، « بداية من فترة تدوينها، حوالي منتصف القرن الأول الهجري، عندما نشطت حركة التدوين لدى العرب»<sup>(3)</sup>. وحظيت وقتها الأمثال الشعبية العربية، باهتمام « ثلاثة من علماء الأخبار والأنساب والتاريخ، هم: صحرار بن عياش العبدي، وعبيد بن شربة الجرهمي، وعلاقة بن كرشم الكلابي»<sup>(4)</sup>، إلا أن مؤلفات هؤلاء العلماء، فقدت منذ زمن بعيد.

استمرت حركة التأليف في "العراق"، وانتشرت بشكل كبير، إلى جانب حركة الترجمة، عندما آلت الخلافة لـ"بني العباس" وقيام الدولة العباسية بعد سقوط الخلافة الأموية، واستقرارها وتوقف الفتوحات الإسلامية. ومن أبرز المصنفات التي وصلت من منجزات مدرسة "الكوفة" بـ"العراق" في مجال الأمثال الشعبية، مصنف "المفضل الضبي" "أمثال العرب"<sup>(5)</sup>. هذا المصنف الهام الذي عد صورة دقيقة، لمعرفة أيام العرب، وأساطيرهم الجاهلية، والحكايات التي وضعوها وانتقلت مشافهة، حيث خصص جزء كبير من المصنف، للأمثال العربية الجاهلية.

تأثرت الأمثال الشعبية العربية، بالقيم الدينية "للإسلام"، من حيث الجوانب المضمونية والأخلاقية، إلا أن هذا لم ينفي ما كان سائدا من قبل من الأمثال، لأن المضمون لا يتغير بسرعة، لأنه يشمل

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 35.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 35.

<sup>3</sup> حسين عبد الحميد رشوان: الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، 1993، ص: 43.

<sup>4</sup> عبد المجيد قطامش: الأمثال الشعبية - دراسة تاريخية وتحليلية -، دار الفكر، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى 1988، ص: 43.

<sup>5</sup> تحقيق الدكتور إحسان عباس.

المضمون الإنساني العام، وقيما إنسانية ثابتة كالخير والشر، السعادة والشقاء، الفضيلة والرذيلة، الفرح والسرور، العدل والظلم، المساواة والجور، الحرية والاستعباد... هذه القيم الإنسانية وغيرها من القيم الإنسانية الأخرى، متعارف عليها منذ الأزل، وبقيت قائمة على مر الأزمان والحقب التاريخية. ولأن "الإسلام" دين الفطرة البشرية لم ينفي مكارم الأخلاق، والقيم الإنسانية النبيلة، التي سبق للإنسان العربي التحلي بها من قبل.

وساعد الإسلام على إضافة أنواع أخرى، من الأمثال الشعبية العربية، لم تكن معروفة من قبل، وأثرى نماذج سابقة، وافقت التغيرات الجديدة التي حملها.

برز خلال هذه الفترة للوجود مصنف "الأمثال"<sup>(1)</sup> لأبي فيد مؤرج بن عمرو بن الحارث السدوسي البصري"، المتوفى عام 195 هجري. وهو المصنف الذي عد خطوة هامة جدا في التأريخ وجمع الأمثال الشعبية العربية، « حيث يختلف عن المفضل في دقته في ذكر مصادره، وفي إكثاره من الأشعار التي يفسرها متوسلا الأمثال حجة لها. ويبدو أبو فيد من خلال الكتاب لغويا، أكثر منه أدبيا»<sup>(2)</sup>. حيث يلاحظ من خلال ما سبق، ولوع العرب المسلمين الأوائل بجمع ودراسة الأمثال الشعبية العربية، لما تحظى به، من أهمية اجتماعية ولغوية وأدبية. فوضعت بذلك مصنفات كثيرة، منها ما وصل إلينا، وهو موجود إما في شكل مخطوط، أو كتاب منشور، ومنها ما لم يصل إلينا مطلقا. وقد تأثر العديد من الباحثين العرب المحدثين، والمهتمين بالتراث والآداب الشعبية، باللغويين العرب القدامى، في مناهج جمعهم للأمثال الشعبية، وتبويبها وفهرستها، ثم ترتيبها ألفبائيا أو موضوعاتيا. وهذه المناهج العلمية كثيرة، وتختلف بحسب التوجهات العلمية للباحث، أو البلد الذي ينتمي إليه.

#### 4-أنواع الأمثال الشعبية المغاربية:

قسم المثل الشعبي المغاربي إلى أنواع، بحسب رأي عديد الباحثين، سواء من حيث الموضوع أو الحجم أو طريقة بناء المثل، أو زمن نشوئه. وكانت التقسيمات على النحو الآتي:

##### 1-بحسب الحجم: الأمثال الشعبية المغاربية بحسب حجمها نوعان، قصيرة وطويلة:

<sup>1</sup> تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

<sup>2</sup> عبد المجيد قطامش: الأمثال الشعبية -دراسة تاريخية وتحليلية-، ص: 43.

**-القصيرة:** غالبا ما تتكون الأمثال الشعبية المغاربية القصيرة، من جملة أقوال موجزة، وتتسم بالقبول وتعرف بالتداول ليسهل انتشارها وحفظها، دون تغيير يلحق في ألفاظها؛ فتنتقل عما وردت فيه من الناحية الأصلية، إلى كل ما ينبغي قصده بها. لذلك تضرب الأمثال الشعبية المغاربية، كغيرها من الأمثال الشعبية العربية والعالمية، بغض النظر عن الجهل بطبيعة أسبابها، التي كانت أو ضربت من أجلها. ويتفاوت فيها نظام الجملة، بين القصر والطول، والبساطة والتركيب والضييق والانتساع. غير أن جملة المثل الشعبي المغاربي، تتميز غالبا بكثافة المعنى، الذي تحمله كل مفردة في المثل. «وهي كثافة تجعل المفردة المستخدمة في المثل، تختلف في معناها عن نفس المفردة المستخدمة في اللغة العادية؛ أي أنها تتجاوزها وتفوقها من حيث الدلالة والمعاني»<sup>(1)</sup>. فالمثل الشعبي المغاربي، يعرض لمواقف متنوعة من خبرات إنسانية، ولا يمكن أن يصور هذه المواقف من خلال تراكيب لغوية، تحتوي على عدد من الثغرات، التي يقوم متلقي المثل فيما بعد بملئها.

**-الطويلة:** غالبا ما يكون هذا النوع من الأمثال في شكل حكاية. وينتشر كثيرا هذا النوع في بلاد المغرب العربي، ويقال بعد نهاية حادث ما. كقولهم مثلا: (وافق شن طبقة). هذا مثل عربي موجز معروف في العالم العربي ككل، يتضمن قصة معروفة، وهي قصة رجل اسمه "شن" وجد ضالته في امرأة اسمها "طبقة"، فتزوجها وعاشا حياتهما معا. وقد تكون الأمثال الشعبية الطويلة الحجم، صادرة « من قصة متخيلة متداولة على ألسنة الناس»<sup>(2)</sup>. وتصاغ أيضا في شكل قصص، للمتعة والترفيه والتسلية، ولا تمثل حقيقة واقعية.

## 2-بحسب الشكل الأدبي:

**-السردية:** المثل السردية هو نقيض المثل الشعري، ويقال له المثل "النثري" أيضا. مثل هذه النوع معروف ومنتشر في بلاد المغرب العربي، وعرف به الأدب الشعبي المغاربي. والمثل السردية هو « جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسله بذاتها، تتسم بالقبول وتشتهر بالتداول، فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها، من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من

<sup>1</sup> عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، ص: 65

<sup>2</sup> محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1988، ص: 44

المعاني. فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت من أجلها»<sup>(1)</sup>. هذه جملة خصائص المثل السردى، في الثقافة الشعبية. وعادة ما وجدت الأمثال السردية في الأدب الشعبي المغاربي، وفق مقتضيات حاجة المجتمعات المغاربية إليها، وتبعا لطبيعة ظروف معيشة الفرد المغاربي.

**-الشعرية:** يكون المثل الشعبي الشعري، عبارة عن بيت من الشعر، أو شطر منه، أو جزء من الشطر أحيانا. «وينبغي في المثل الشعري تحليه بثلاث خلال: أن يكون متزنا قائما بنفسه غير محتاج إلى غيره، وأن يكون سالما من التكلف سلسا تستلذه الأسماع، وأن يكون متحرى فيه الصدق وحسن الإصابة»<sup>(2)</sup>. يضاف إلى ذلك مجهولية مؤلفه، حتى لا يندرج ضمن أبيات الحكمة الشعرية.

أكثر هذه الأمثال انتشارا في بلاد المغرب العربي، هي الأمثال الشعرية القصيرة. وترتبط بحادثة أو قصة، وعادة لا تذكر القصة، وإنما يذكر ما نتج عن أحداثها من مثل موجز يدل عليها. غير أن الأمثال السردية في المجتمعات المغاربية، أكثر حضورا و أوسع انتشارا، لأن الأمثال الشعرية في الأدب الشعبي المغاربي، ترتبط عادة بالحكمة.

## 5-طقوس أداء المثل الشعبي المغاربي:

ارتبط المثل الشعبي المغاربي منذ نشأته، برواية قصة معينة؛ فكأن المجتمعات المغاربية كانت لا تقول أمثالا إلا وارتبطت بها قصص متعلقة بها. «ويكثر في قصص هذه الأمثال، أن تذكر فيها شخصيات تاريخية أو خرافية، أو حيوانات مشهورة، أو أماكن أو أسماء أجناس من الحيوانات والنباتات»<sup>(3)</sup>. ويبقى المثل الشعبي المغاربي، أنموذجا حيا للتعبير عن خصوصية الذات الشعبية المغاربية، وفق مقتضيات التجارب الحياتية، التي عاشها الإنسان المغاربي ودرج عليها.

وضمن طقوس أداء المثل الشعبي المغاربي، فلهذا المثل مورد ومضرب، كباقي الأمثال الشعبية العربية.

**-مورد المثل:** يقصد بمورد المثل، الحالة أو المناسبة التي قيل فيها بداية. يرى بعض الباحثين أنه ليس من الضرورة، أن يرتبط المثل الشعبي بمورد ما، يورد فيه ليكون مناسبة يضرب فيها. حيث أن هناك

<sup>1</sup> الحسن اليوسي: زهرة الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة -الجزائر 1981، الطبعة الأولى، ص:08

<sup>2</sup> محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، ص:45

<sup>3</sup> رودلف زلهام: الأمثال العربية القديمة، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1971، ص:55

أمثال شعبية قيلت، دون مورد أو مناسبة، ودون أن ترتبط بأية حادثة، كأحاديث "الرسول" "ص"، والأشعار الحكمية، والأمثال التي أصلها حكم، ثم سارت وشاعت هذه الأمثال بعد ذلك. وما يعتقد أنه هؤلاء الباحثون، أن المورد يطلق على أول استعمال للمثل، سواء أكان هذا المورد حادثة أم لم تكن<sup>(1)</sup>.

**-مضرب المثل:** المراد بمضرب المثل، هو إطلاق المثل واستعماله في حالات متجددة، تشابه الحالة الأولى التي ضرب فيها، وهذا بحسب طبيعة الموقف الذي يضرب فيه مجدداً.

وعن التقاطعات القائمة بين المثل الشعبي الفصيح، والمثل الشعبي العامي، هي أن المثل المتوسل باللغة العربية الفصحى، يأخذ الصبغة الإقليمية التي نشأ في إطارها . لأنه يولد من أعماق المجتمع ومعاناة أبنائه، فيتطور بحسب تطور اللغة اليومية والتواصلية لأبناء المجتمع.

كما أن المثل الشعبي الفصيح، يتميز بثبات نصه دون تحويل أو تغيير، لأنه صار مثلاً مكتوباً مدوناً، ومن اختصاص المنظومة المعرفية للنخبة الثقافية والمتعلمة في المجتمع. أما المثل الشعبي العامي، فيتميز بنوع من الثبات، غير أنه قابل لليونة والتغيير، في بنيته التركيبية، سواء من حيث الألفاظ أو العبارة، بفعل التداول الشفوي. وهذا التغيير يكون وفق ما يتناسب مع طبيعة المجتمع والتجارب الإنسانية، وأن تكون المفردات المتعلقة بالمثل ضمن الحقل الدلالي نفسه لأبناء المجتمع.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك عبد المجيد قطامش: الأمثال العربية -دراسة تاريخية تحليلية-، ص:15.

## المحاضرة العاشرة

### الألغاز الشعبية المغربية

#### 1- مفهوم اللغز:

\***لغة:** "اللغز" في أصله اللغوي يعني « ميلك بالشئ عن وجهه. والألغوزة ما يعمى به، وألغز كلامه: عمى مراده »<sup>(1)</sup>. ومع تطور الزمن ، تحول معنى "اللغز"، من معناه المادي الحقيقي إلى المعنى المجازي المعروف، لتصير هناك قرابة بين المفهوم الاصطلاحي والمفهوم اللغوي للكلمة. فنقل المعنى الحقيقي للكلمة، إلى المعنى الاصطلاحي المجازي، للدلالة على التعمية والإبهام في الكلام، بغرض التحايل على المتلقي.

\***اصطلاحاً:** عرف العديد من الباحثين العرب والمغاربة، "اللغز" تعاريف عدة، بحسب ميولاتهم ورؤاهم المعرفية. يقول "محمد المرزوقي": « اللغز هو الكلمات المسجوعة أو المنظومة التي تلقى في المجالس العامة والخاصة، في قالب أسئلة يختبر بها الناس ذكاء بعضهم بعضاً. والقاعدة فيها أن يورد اللغز في شبه سؤال منظوم أو مسجوع عن شيء تذكر صفاته القريبة أو البعيدة. ومن تلك الصفات يستطيع المسؤول بإعمال شيء عن الفكر للاهتداء إلى موضوع السؤال »<sup>(2)</sup>. لذلك يكون اللغز من هذه الناحية قولاً ضمن منى معين، يستخرج المعنى « بالحدس والتخمين أخذاً من عدة صفات له ومتعلقات به تذكر للتنبيه عليه »<sup>(3)</sup>. بحكم أن اللغز خطاب لغوي، قوامه الغموض والالتباس والإشكال، والتحويل في بنيته اللغوية الشكلية. «وأي شيء ينعت باللغز فهو غامض وغير بائة دلالتة»<sup>(4)</sup>.

<sup>1</sup> محمد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمود الشامي/زكريا جابر أحمد، دار الحديث ، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى 2007، ص:1477

<sup>2</sup> محمد المرزوقي: الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، -تونس، 1967، ص:42

<sup>3</sup> السعيد بن فرحي: الموجز في الشعر المغربي المألوف، مطبعة فضالة، الطبعة الأولى 1998، ص:27

<sup>4</sup> محمد سعدي : الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر، الطبعة الأولى 1998، ص:98

ويعتبر اللغز كذلك « استعارة نشأت نتيجة التقدم العقلي في إدراك الترابط وأوجه الشبه والاختلاف، من خلال المقارنة. كما يحتوي اللغز فضلا عن ذلك، عنصر الفكاهة الناتجة عن احتواء اللغز لعنصر المفاجئة»<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أن الباحثين المتخصصين في مجال الأدب الشعبي العربي والمغاربي، اتفقوا من خلال تعريفاتهم المنهجية للغز الشعبي، أنه ينقسم إلى قسمين: سؤال وجواب. يكون السؤال عبارة عن نص لغوي يحوي بعض صفات الشيء المسؤول عنه، بغرض إبقاء مساحة للبحث عن حل اللغز، واختبار ذكاء المسؤول عن ذلك الشيء المبهم.

ومن أشهر التسميات الأخرى الشائعة، والتي تدخل ضمن اللغز، الأحجية: وتعد من أكثر المصطلحات الدالة على اللغز، وهي متداولة كتداول اللغز. وهي في أصل اللغة تعني :حجما وهو العقل والفتنة. وكلمة أحجية مخالفة من حيث المعنى للفظ. والأحجية جمعها أحاجي، وهي التسمية المتداولة في سائر بلاد المغرب العربي، فالمغاربة لا يقولون "لغزا" فقط، إنما يوظفون كذلك لفظة "الأحجية" بدل لفظة "اللغز" في بعض الأحيان. و « الأحجية الجمع أحاجي أو اللغز بالإنجليزية Puzzle، هي مسألة بتقعيد معين تتبع سلسلة حسابات منطقية للتوصل للإجابة عليها.

تتطلب أبسط الأحاجي، تجميع عدة قطع لتشكيل شكل معين أو صورة. تستخدم الأحاجي عادة كنوع من أنواع التسلية، ولكنها عادة تتضمن الكثير من الحسابات الرياضية والمسائل المنطقية. ولذلك غالبا ما يكون إيجاد الحلول لهذه الأحاجي، على شكل صيغة رياضية من أنجح الأبحاث الرياضية»<sup>(2)</sup>.

كما توسع سكان المغرب العربي في توسيع معنى الأحاجي، حيث لم يطلقوها على الكلمات أو الألفاظ أو العبارات الملعزة أو المحجية فقط، وإنما أطلقوها كذلك على كل حكاية عجيبة. فإذا طلب أحد سكان المغرب العربي، أن تحكى له حكاية يقول "حاجيلي" بالعامية، وهو يقصد "إحك لي حكاية عجيبة".

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غرب ، القاهرة -مصر، د/ط، د/ت، ص:191

<sup>2</sup> ar.Wikipedia.org معنى أحجية موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة

إلى جانب ذلك هناك لفظة **التشنشين** العامية وهي لفظة متداولة لدى بعض سكان منطقة المغرب العربي، لاسيما في العاصمة التونسية. وتسمى في بعض الجهات الأخرى **بالخبو**. وإذا أُلقيت في الأعراس والأفراح، أو في بعض المناسبات السارة تسمى **الرباط**<sup>(1)</sup>.

والحقيقة أن **اللغز الشعبي** أو **الأحجية** لها معاني أخرى في بعض أقطار المغرب العربي. ففي مناطق الشمال الجزائري مثلا تسمى **بالحرز**، واللفظة مأخوذة من الفعل العامي **يحرز**، وأصله مأخوذ من مادة **حرز**. يقال **حرز الشيء**، وأحرز الشيء فهو **محرز** و**حرز** بمعنى حازه. وينطبق المعنى هنا، على إمكانية إحراز أو حصول السامع للغز أو الأحجية على حل لهذا اللغز وظفره به.

أما في مناطق الجنوب الجزائري، وشمال الصحراء، وقبائل أولاد نايل، والحرازية، والأربعاء، والشعابنة، وقبائل سعيد، وغيرها من القبائل الأخرى القريبة المجاورة، فتسمى الألغاز الشعبية **بالمحاجيات**<sup>(2)</sup>. وفي مناطق وادي سوف من "الجزائر"، تطلق تسمية **الخراف** العامية، على الألغاز والأحاجي الشعبية المهمة<sup>(3)</sup>.

لذلك يلاحظ بوضوح أن مسميات الألغاز الشعبية المغاربية أو الأحاجي، تختلف تسمياتها من منطقة إلى أخرى من مناطق المغرب العربي، ومن بلد مغاربي إلى بلد مغاربي آخر. وأحيانا من منطقة إلى أخرى ضمن البلد المغاربي الواحد. غير أن مصطلح "لغز" هو المصطلح الأكثر شهرة وتداولاً وتعارفاً، في كافة البلاد العربية لدقة مفهومه من جانب، وسلاسة استخدام لفظه من جانب آخر.

## 2- نشأة اللغز الشعبي:

لا توجد بداية معروفة لنشأة اللغز الشعبي، لدى أمة معينة من أمم الأرض. فنتيجة لغياب التفسيرات العلمية الأكيدة وحتى الدينية لدى الإنسان البدائي، أو التي تقترب على الأقل من الحقيقة الموضوعية، كان اللغز الأنموذج الفعلي للإجابة على أسئلة الإنسان المطروحة عبر مختلف أزمنة حياته وتطوره. وهي في الغالب الأعم أسئلة صعبة ومعقدة تختص بطبيعة الحياة والمصير بعدها. ولا يمكن

<sup>1</sup> يراجع في ذلك محمد المرزوقي: الأدب الشعبي في تونس، ص: 41.

<sup>2</sup> ينظر في ذلك أحمد بن محمد بن الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، المطبعة العربية، غرداية - الجزائر، الطبعة الأولى 2009، ص: 13.

<sup>3</sup> ينظر في ذلك كمال بن عمر: الألغاز الشعبية في منطقة واد سوف، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الحاج لخضر باتنة - الجزائر، 2006-2007، ص: 73.

للحياة الاستمرار إلا بانكشاف أسرار تلك الأسئلة، بإعمال العقل، والتدبر في طبيعة الحياة وشؤونها، بعمق وبصيرة وصبر وأناة. فاللغز كان دائما أداة الحياة والموت معا، بالنسبة للعديد من القبائل البشرية الأولى.

من الناحية الاجتماعية يكون الباعث الأساسي، على خلق اللغز بصفة عامة « هو اختبار المسؤول في درجة معرفته؛ فقد يكون اللغز امتحانا قاسيا ينتهي بالحياة أو الموت مثل لغز أبي الهول»<sup>(1)</sup>. ويتمثل نص اللغز في السؤال: ما هو الحيوان الذي يمشي على أربع في الصباح، وعلى اثنين في الظهر، وعلى ثلاث في المساء؟.. وهذه ممارسة سحرية في أعماقها ومعكوسة أيضا؛ يتمثل طرفاها في "الوحش" الذي له سلطة القتل لأنه يمتلك الجواب. والطرف الثاني في "أوديب" الذي ينبغي عليه الحفاظ على حياته وحياة الآخرين، في حال امتلاكه للمعرفة ذاتها التي يمتلكها "الوحش". فكلتا الطرفين متواجدان في مواجهة عبر صياغة نص اللغز، حيث أجاب "أوديب" إنه الإنسان.

وتعود القصة إلى ما بين 5000 إلى 3500 سنة قبل الميلاد<sup>(2)</sup>. وبالنظر للبدايات الأولى لقصة أوديب، يلاحظ بأن صيغة السؤال، تثبت حيرة الإنسان القديم، في فهمه لطبيعة حياته ومراحل تطورها، التي تلخصت في لغز "أبي الهول". ولمن لا يعرف حل اللغز، استحق الموت والافتراس من لدن "الوحش". ومن عرف الحل، يعني أنه عرف حقيقة حياة الإنسان، فاستحق الحياة بذلك. وأن الكائن المقصود في حل اللغز هو الإنسان. لأنه الوحيد الذي يمشي على أربع، أثناء مرحلة "الحبو" خلال طفولته. ويمشي على اثنين عند انتصاف النهار، ويقصد بذلك اعتدال قامته وقت شبابه. ويمشي على ثلاث إذا أقبل المساء أي في شيخوخته، لأنه يكون وقتها مضطرا للاستعانة بعضا يتوكأ عليها مع تقدم السن<sup>(3)</sup>. وهذا ما جعل أوديب، يستحق المكافأة والحياة.

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص: 204

<sup>2</sup> تنظر في ذلك موسوعة ماسبيرو تاريخ المشرق، ترجمة: أحمد كمال، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة - مصر، 1897م، ص: 16. وقصة اللغز جزء من أسطورة أوديب وهي كالأتي: كان أبو الهول يحرس مدينة طيبة القديمة (مصر). وهو عبارة عن وحش كان له رأس إنسان وجسم أسد. وهو عند الإغريق الأسفنجس عبارة عن وحش له رأس وغدان كما عند المرأة، وجسم شبيه بجسم الكلب، ومخالب أسد، وأجنحة نسر، وفي ذنبه سهم حاد. كان يعيش في بلاد الصعيد على جبل عال، يلقي الألغاز على من يمر من الناس؛ فمن لم يفسرها افترسه في الحال. فنادى أحد ملوك طيبة بأنه سيزوج ابنته، ويعطي تاجه لمن يريح العالم من شر هذه الآفة. فجاء رجل اسمه أوديب وحل اللغز وأهوى الوحش بنفسه من فوق الصخور، وتحطم جسمه وخلص الناس من ضرره.

<sup>3</sup> يراجع في ذلك أحمد كمال زكي: الأساطير - دراسة حضارية مقارنة -، دار العودة، الطبعة الثانية، بيروت - لبنان، 1979، ص: 132.

اللغز الشعبي غالبا ما ينبع من إمكانات الإنسان التأملية. واستخدام الإنسان لعقله الواعي المتبصر، يمكنه من طرح الأسئلة حول واقعه الروحي والمادي، وعلاقة وجوده بالعالم الخارجي؛ سواء تعلق الأمر بالمخلوقات والجمادات وحتى الظواهر الطبيعية. أو الجوانب الروحية الخفية في مختلف تفاصيلها.

كما أن وجود الطقوس السحرية باعتبارها علوما مزيفة، بغرض السيطرة على الطبيعة والإنسان أحيانا، جعل العقلية الشعبية تستخدم اللغز بطريقة غامضة، أشبه ما تكون بغموض الحياة للتخلص من غضبها، ومن أجل التحكم فيها. فثنائية الحياة والموت، تبرر قتل "أبي الهول" واستحقاق "أوديب" للحياة في البدايات الأولى للتفكير البشري. كما أن اللغز يبرر العقوبة التي عادة ما تلحق المتباري في جلسات "التلاغز" في المجتمع المغاربي، وهي عادة ما تمس الشخص الذي، لم يتمكن من حل اللغز المطروح. ومع مرور الوقت صارت العقوبة تأخذ جوانب نفسية ومعنوية فقط، تمس الشخص الذي يعجز عن إيجاد حل للغز المطروح، من خلال كلمات أو عبارات تقال له، أو ينعت ببعض النعوت، بحكم «أن الألغاز أصبحت تستخدم في الكشف عن غباء الإنسان العادي، بقصد خلق جو من السخرية والمرح»<sup>(1)</sup>. وهذا بعد مرور المجتمعات البشرية بمراحل متعددة، وتخلصها من المراحل البدائية الأخرى والصفة القبلية، ثم انتظامها بعد ذلك في مجتمعات حضرية لها نظمها وتقاليدها الاجتماعية الخاصة بها. فصار اللغز الشعبي بعد ذلك أحد مقومات النظام الاجتماعي.

وردت الكثير من الحكايات الشعبية والخرافية، ذات اللغة السحرية المميزة في مختلف حضارات الشعوب البشرية. وتفردت الحضارة العربية القديمة بالكثير والكثير من الحكايات السحرية "الملغزة". كما وجدت بالإضافة إلى ذلك، أقدم النصوص التي عثر عليها وصارت من أهم نصوص الحضارات الإنسانية القديمة، كملحمة "جلجامش". كما عثر على كثير من الألغاز في البرديات والمسلات والجداريات "الفرعونية". كما وجدت نصوص عربية أثرت عن الفترة الجاهلية والإسلامية بعد ذلك، مروراً بالعصور التاريخية القديمة التي قبلها، والتي حفلت بـ"التلاغز" بين الناس، خاصة بين الشعراء والخطباء "الملغزين".

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص: 200

ووجد في الأدب العربي القديم كم هائل، من الألفاظ الشعرية والنثرية. وقد لجأ العرب القدامى لهذا النوع من التعبير لاختبار فراسة مخاطبيهم ومدى ألفتهم في حل الألفاظ، لاسيما في مجال اللغة والنحو والصرف والفقه، وما يتصل بعلومه من فرائض وحساب. كما اعتمد العرب القدامى اللغز في ميادين أدبية أخرى، لاسيما في الشعر الذي عرف الكثير من الأغراض والتنوع والصناعة والبلاغة والبيان.» وقد ورد من الألفاظ في كلام العرب المنثور، كم غير أنه قليل بالنسبة إلى ما ورد في أشعارها. أما المتأمل في نص القرآن الكريم فإنه لا يجد فيه شيئا منها، ولا ينبغي أن يتضمن منها شيئا، لأنه لا يستنبط بالحدس والحرز كما تستنبط الألفاظ<sup>(1)</sup>.

ثم تحولت الأسئلة الوجودية لحياة الإنسان، وبين الفرد ونفسه إلى أسئلة متداولة لدى التجمعات الشعبية للشعوب القديمة، نتيجة تطور لغة التواصل فيما بينها. وبقيت لغة التواصل هذه قائمة إلى أن عرف الإنسان الأديان في مجتمعاته التي صارت في توسع، فتمكن الإنسان من امتلاك ناصية اللغة التعبيرية، وصار قادرا على التحايل في استخدام الألفاظ والعبارات والجمل، لتصير الألفاظ هي النموذج الذي يعبر عن التفوق اللغوي. وبحكم أن الإنسان لا يتوقف عن طرح الأسئلة المختلفة عن وجوده، وعن كل ما يحيط بحياته ويميزها، صار بإمكانه تعميق مجال التساؤل أكثر فأكثر من أجل تنويع معارفه، إلى أن صار فن "التلاغز" حاضرا في مختلف العلوم والفنون والآداب والمعارف. لذلك لم يعد طرح الأسئلة مجرد حاجة فردية فحسب، بعد تطور المجتمعات البشرية وتطور لغة التواصل فيها، بل صار رياضة فكرية يجتهد من خلالها المسؤول، لإيجاد حل للغز المطروح، لدوافع عديدة غالبا ما تكون متعلقة بالمعرفة، أو الفضول، أو المنافسة.

لذلك يكون اللغز نمطا من أنماط الأدب الشعبي، شأنه بذلك شأن الحكاية الشعبية، أو الأسطورة، أو الخرافة، أو المثل الشعبي، أو الشعر الشعبي... والمرحلة البدائية للشعوب البشرية، تشبه كثيرا طفولة الإنسان الذي غالبا ما يتساءل عن كل شيء، من أجل معرفة كل شيء، خصوصا فيما يتعلق بحياته، وأصل حياته، ومحيطه ومصيره. لذلك تكون نشأة الألفاظ الشعبية لدى الإنسان بصفة عامة، في كون

2 نصر الله ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوي / بدوي طبانة، الطبعة الأولى، دار نخبة مصر للطباعة والنشر، القاهرة - مصر، ص: 190، د/ط، د/ت

هذه الأخيرة « غريزية في الفطرة، فإن الطفل الذي هو دليل الطبيعة الأولى في الإنسان، يسأل عن أشياء كثيرة بوصفها والإشارة إليها، فإذا سئل هو بمثل ذلك كانت عنده أحاجي»<sup>(1)</sup>.

### 3-أنواع اللغز الشعبي المغربي:

تتنوع أنواع اللغز الشعبي المغربي، بحسب الحجم، والشكل الأدبي، والحل.

**\*التنوع بحسب الحجم:** الألغاز الشعبية المغربية حسب الحجم نوعان، ألغاز قصار وأخرى طوال.

**أ-القصار:** عادة ما تكون الألغاز الشعبية المغربية قصيرة من حيث الحجم، غير أنها تكون مركزة كثيرا. ورغم قصرها فهي تؤدي معنى واسعا من حيث الدلالة العميقة. ولا تقل في تركيبها عن جملة واحدة. وتتراوح الألغاز المغربية من حيث الحجم ما بين الجملتين إلى الأربع جمل، ولا تتجاوز الخمس جمل إلا في الحالات النادرة<sup>(2)</sup>.

**ب-الطوال (حكاية الألغاز):** يلاحظ أن هذه الألغاز نشأت مع تطور الأساطير والحكايات الخرافية. وقد حفلت الحكايات الشعبية بالألغاز منذ أن عرف الإنسان اللغة والتعبير. هناك حكايات عالمية لا تزال تدور أحداثها حول الألغاز، من حيث كونها معضلات يطرحها العقل البشري، ثم يكون هناك اجتهد في حلها بالذكاء الذهني.

وتشهد الآثار التاريخية بوجود مناظرات بين الملوك القدامى، أساس هذه المناظرات طرح الألغاز، واختبار إمكانات عقول الحاضرين في حلها، في شكل مساجلات ذهنية، من ذلك ما حدث بين الملك "سليمان" النبي -عليه السلام-، وبلقيس ملكة "سبأ"<sup>(3)</sup>. كما شاعت فنون "التلاغر" في أوساط الحياة البدوية عند العرب القدامى، وكذا عن أهل الحضارة منهم. كان يطرح أحد الملوك لغزا في شكل سؤال، وإذا توصل أحدهم لحله زوجه ابنته، لفراسته ودهائه، لأنه سيكون الأقدر مستقبلا على إدارة وتسيير شؤون الحكم، أو المساعدة في ذلك. كما وردت الألغاز أيضا، في السير والملاحم

<sup>1</sup> مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1974، ص:407

<sup>2</sup> ينظر في ذلك أحمد بن محمد الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، ص:17/16/15/14.

<sup>3</sup> ينظر في ذلك القرآن الكريم، سورة النمل، برواية ورش عن الإمام نافع.

الشعبية العربية القديمة، من ذلك ما روي في مقدمة "تغريبة بني هلال"، حيث وردت ألغاز "ذياب بن غانم الزغبى الهلالي" التي طرحها على زوجته لاختبار قوة ذكائها وشخصيتها، من ذلك:

- أحلى مناش ؟ -لعب الدراري في الفراش
- أثقل مناش ؟ -قعدان الناس على الناس
- أمر مناش ؟ -هزان الرجال على لنعاش
- واش يغلب النار؟ -النار يغلبها الما
- واش يغلب العقبة؟ -العقبة يغلبها الخيل
- واش يغلب الخيل؟ -الخيل تغلبها فرسانها
- واش يغلب الفرسان؟ -الفرسان يغلبهم ولادهم<sup>(1)</sup>.

ورغم التأثير الواضح للغز الشعبي في السيرة الشعبية، فهناك حكايات شعبية مغربية وعربية، تقوم كلها على الألغاز. «على أن تأثير اللغز في الحكاية الخرافية لم يقف عند هذا الحد، فهناك حكايات خرافية وشعبية اتخذت شكل اللغز بوصفها لغزا، وقد سميت هذه الحكايات بحكايات الألغاز»<sup>(2)</sup>.

**\*التنوع بحسب الشكل الأدبي:** يتعلق الشكل الأدبي بال قالب، الذي تفرغ فيه الألغاز الشعبية المغربية مادتها، ويكون ذلك إما شعرا أو نثرا:

**أ-القالب الشعري:** تعتمد الألغاز الشعرية عادة بحدودا خفيفة الإيقاع، وتكون ما بين البيت إلى ثلاثة أبيات على أكثر تقدير، وإن تجاوز ذلك القدر فهو في القليل النادر. غير أن شعر الألغاز عادة، يكون أقرب بكثير من النثر المسجوع، لاسيما أن الميزان الشعري في الألغاز ليس شرطا مؤكدا. وإن كان الشعراء غالبا ما يتولون نظم مثل هذا اللون من الشعر "الملغوز"، فلأن الألغاز تعد لونا من ألوان الأدب الشعبي الشائع في بلاد المغرب العربي اختص به الشعراء دون غيرهم. وهذا ما أكدته الدراسات المتخصصة في الآداب الشعبية بصفة عامة، من تناس (تقاطع) الكثير من الألغاز التي

2 لتفاصيل أكثر يرجى العودة إلى عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية،-الجزائر، الطبعة الأولى 1998، ص:56/55.

<sup>2</sup> نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص:198.

نظمها الشعراء باللغة العربية الفصحى، مع وجود ما يماثلها في الألغاز الشعبية الجزائرية، وسائر بلاد المغرب العربي الأخرى.

**ب-ال قالب النثري:** تتراوح الألغاز الشعبية النثرية، ما بين ثلاث كلمات إلى عشرين كلمة. وهي عادة ما تكون جملا عادية، مسجوعة، ذات فواصل.

**\*التنوع بحسب الحل:** يكون اللغز الشعبي المغربي بحسب الحل، إما مفردا أو مركبا.

**أ-مفرد:** سواء أكان اللغز شعريا أم نثريا، تكون من جملة واحدة أو من عدة جمل أخرى. ومهما تعددت دلالاته وصفاته، فحله يكون حلا واحدا وفي حالة الأفراد. وغالبا ما تكون الألغاز الشعبية المغاربية، من نمط اللغز ذي الحل المفرد.

**ب-مركب:** عادة ما يتميز هذا النوع من الألغاز، بتعدد جملة الوصفة نتيجة تعدد المواضيع التي يتم التساؤل عنها أو حولها، وهو قسمان، القسم الأول تتوافق فيه عناصر الحل وإن تعددت، مثال: زوج خبز في مايدة واحدة حامية ووحدة باردة. وحله: الشمس والقمر والسماء. والقسم الأول تختلف فيه عناصر الحل، ولا تكون بين هذه العناصر علاقة واضحة، مثال: يكبر ما يشيب، يتلوى ما يعيب، ويطيح ما يطيب، وحله: الغراب، الثعبان، الماء.

#### 4-طقوس أداء اللغز الشعبي المغربي:

تتكون بنية اللغز العربي من ثلاثة عناصر أساسية هي: العبارة المضللة، وصف الشئ، الشئ المقصود ويكون مجهولا<sup>(1)</sup>. ويكون الغموض والتناقض ظاهرتين مشكلتين للعناصر الأساسية في الألغاز. وعادة ما تتميز الألغاز الشعبية المغاربية بالتناقضات التمويهية، التي تنبو بالسامع عن الحل وتبعده عنه. بالإضافة إلى صيغة اللغز الاستهلاكية أو التقديمية (المقدمة). وقد أضاف "روبرت بتش" لهذه العناصر عنصرا خامسا هو الصيغة الختامية أو خاتمة اللغز<sup>(2)</sup>. لذلك تحتوي بنية اللغز الشعبي على خمسة عناصر، ثلاثة عناصر أساسية، وعنصرين ثانويين، هما: الصيغة الاستهلاكية أو الافتتاحية، والصيغة

<sup>1</sup> ينظر أحمد بن محمد بن الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، ص:15

<sup>2</sup> ينظر أحمد زيادي: الأحاجي الشعبية المغربية، ص:304

النهائية. وهما عنصران فرعيان يدخلان في تكوين القلب أو الأسلوب، أكثر مما يدخلان في تكوين البنية الفنية للغز.

أ-الصيغة الاستهلاكية: وهي تشكل العنصر الثانوي الرابع وتكون كالاتي عادة: أحاجيك، حاجيتك ما كان كذا وكذا.. فهي فاتحة طقوس "التلاغز". وتبدأ حلقة التباري في الألغاز بالبسملة والصلاة والسلام على رسول "الله" -عليه الصلاة والسلام-، ثم تبدأ رواية اللغز. فما هو شائع في بلاد المغرب العربي وكذا البلاد العربية، أن تتولى الجدة أو الأم، تنظيم حلقات "التلاغز"، ثم تقول: خافتك مخارفة، وربطتك بالطارفة، ولحتك في الخالفة. والجملة إحياء مباشر عن أسر الراوي لسامعه وجذب انتباهه، وتحديه لسامعيه وربطهم بالحل إلى أن يجده<sup>(1)</sup>.

وعادة ما تبدأ حلقة رواية الألغاز، برواية الألغاز السهلة، لأنها تشد من همة المتبارين وتجعلهم يشعرون بالثقة في نفوسهم، لتصدر حل هذه الألغاز، مما يمنحهم رغبة جامحة في الاستزادة من الألغاز والبحث عن حل لها. وأول اللغز يبدأ في الغالب الأعم ب: "حاجيتك لو كان ما هو ما جيتك". وحل اللغز هو الرجلين أو القدمين. وفي ذلك يبدو تعبير عن حرية المتبارين في المنافسة، وتقبل الريج والخسارة بكل أريحية. كما يبدأ أحدهم في رواية اللغز، ثم يترك المجال للمتبارين في حله، وفق إمكانياتهم الذهنية، ومدى قدرة ذكائهم على فهم إشكالية اللغز، وإيجاد حل له بعد ذلك. وفي حال وصول أحد المتبارين لحل اللغز، يكون الحق فيما بعد للسؤال ورواية ألغاز جديدة. وفي حال العجز عن حل اللغز، من لدن الجميع، يطلب في هذه الحال من السائل الإفصاح عن الحل، ومنح الجواب.

وتزداد الألغاز تعقيدا وصعوبة، من حيث طبيعة صياغة سؤال اللغز، أو بحسب تركيبة الحل المنتظر حوله. وكذا بحسب قدرات المتبارين الذهنية؛ فإذا كانت الجلسة تضم متبارين صغارا وكبارا، تكون بداية الجلسة من الكبار إلى الصغار، وتترك الإجابة كذلك للصغار حتى لو عرف الكبار الإجابة، امتحانا لإمكانياتهم الذهنية، ومستوى ذكائهم المبكر. فتصير الجلسة أكثر تشويقا واستزادة في طرح

<sup>1</sup> ينظر أحمد بن محمد الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، ص: 26

المزيد من الألغاز. وفي حال صعوبة اللغز واستعصائه عن الحل، يطلب من السائل صاحب اللغز، تقديم المزيد من المساعدة، بهدف تقريب الحل أكثر.

**ب- الصيغة الختامية:** يقصد بالصيغة الختامية للغز، الجمل والعبارات التي تنهى بها نصوص الألغاز المطروحة. وأحيانا قد لا تمت الصيغة النهائية، بمضمون الألغاز المطروحة على المستمعين، حيث يشعر المستمعون أحيانا من خلال الصيغة الختامية للغز، أنهم بصدد الاستماع للغز جديد، ليبدأ التباري والمنافسة مجددا فيما بينهم.

وقد لا تعتمد أحيانا الألغاز على الصيغة الاستهلاكية، وتبقي بدلا من تلك الصيغة على الصيغة الختامية، بطرح اللغز مباشرة أو بدون الصيغتين معا؛ لاسيما في الوقت الراهن، الذي صارت تعتمد فيه الجلسات التنافسية، على استذكار الماضي وممارساته وطرفه الشعبية، في التسلية والتباري. بالإضافة إلى ذلك تكون الجلسة أو الحلقة، مكونة من فردين إلى أربعة أفراد. أو تبدأ فردية وتنتهي بتأييد أحد المتبارين في الحلقة، والذي حظي بالانتصار. وتنتهي بالتهكم والسخرية من الخاسر، الذي ينبغي عليه الإقرار بهزيمته، وقد يتوعد بالانتصار مستقبلا، وفي جلسات أخرى قادمة.

ويبقى مجلس الألغاز مجالا هاما للسهر والسمر بين الناس المتقاربين في السن، أو الذين تجمعهم أماكن العمل، أو الروابط الأسرية والمناسبات المختلفة. وتتغير مواضيع الألغاز بتغير الزمان والمكان والمناسبات، وتخضع لبعض القواعد والمبادئ المتعارف عليها من لدن أبناء الشعب. «وتشيع بين النساء أكثر مما تشيع بين الرجال، وتشيع بين العجائز أكثر مما تشيع بين الفتيات، وتشيع بين الشيوخ أكثر مما تشيع بين الشباب والكهول»<sup>(1)</sup>. وما هو شائع في المجتمعات المغاربية، أن جلسات الألغاز هناك منها ما تعقد للصغار والصبية، ومنها ما تعقد للكبار، ومنها ما تعقد للفتيات، ومنها الجلسات العائلية بين أفراد العائلة الواحدة، والتي يشارك فيها الصغير والكبير. كما أن الألغاز الشعبية في بلاد المغرب العربي، تختلف باختلاف الأعمار.

<sup>1</sup> عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، الطبعة الأولى 2007، ص: 16

تمثل الألغاز الشعبية المغاربية، صورة من صور الترفيه الذهني في منطقة المغرب العربي. يقضي فيها الإنسان المغربي وقتا قد يطول وقد يقصر بحسب رغبته في التفكه واختبار مستوى ذكائه. وعادة ما تعقد جلسات الألغاز في بلاد المغرب العربي في أفنية المنازل، بعد صلاة المغرب خلال فصل الصيف. أو داخل المنازل إذا كان الجو باردا أو مطرا. بينما يبقى المجلس مكانا للكبار، يتسامرون فيه ، ويتبارون في حل الألغاز، وتجاذب أحاديث المودة. « وبالرغم من أن المباريات اللغزية لا تشترط وقتا معيناً لإجرائها، فإنها تزدهر في أوقات محددة؛ فالسهرات السمرية خاصة في الشتاء، عندما يطول الليل وتتمدد ساعاته، وأثناء شهر رمضان الفضيل، وفي الاجتماعات العائلية، وفي مختلف أوقات الفراغ، وفي الجلسات المعقودة لذلك قصدا، كل هذه الأوقات تعتبر مجالا خصبا لإجراء المباريات اللغزية وعقد حلقاتها»<sup>(1)</sup>.

---

<sup>1</sup> أحمد بن محمد الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، ص: 28

## المحاضرة الحادية عشر

### النكتة الشعبية المغاربية

#### 1-تعريف النكتة:

أ-لغة: «نكت :النون والكاف والتاء أصل واحد يدل على تأثير يسير في الشيء كالنكتة ونحوها. ونكت في الأرض بقضيبه إذا أثر فيها. وكل نقطة نكتة. ونكت النون والكاف والتاء أصل صحيح يدل على نقض شيء. ونكت العهد ينكته نكتا، وانتكت الشيء انتقض. وقال قولاً لا نكيثة فيه أي لا خلف، ومنه طلب حاجة ثم انتكت لأخرى، كأنه نقض عزمه الأول. والنكت أن تنقض أخلاق الأكسية وتغزل ثانية، وبها سمي الرجل نكتا. والنكيثة :خطة صعبة ينكت فيها القوم»<sup>(1)</sup>. و«النكتة كالنقطة، وفي حديث الجمعة: فإذا فيها نكتة سوداء أي أثر قليل كالنقطة، شبه الوسخ في المرأة والسيف ونحوهما، والنكتة شبه وقرة في العين.. ونقطة سوداء في شيء صاف. والنكات الطعان في الناس. والنكيت : المطعون فيه، وفلان منك ونكات أي يمجى بنكت في كلامه»<sup>(2)</sup>. فالنكتة هي كل أثر أسود قليل في مساحة بيضاء، وفي الكلام العبارة الأكثر تأثيرا ورسوخا. وورد أيضا: «نكت(بالتاء) النكت أن تنكت بقضيب الأرض فتؤثر بطرفه فيها. وفي الحديث: فجعل ينكت بقضيب، أي يضرب الأرض بطرفه.

نكت، النكت(بالتاء)، نقض ما تعقده وتصلحه من بيع وغيره.

نكته ينكته نكتا فانتكت، وتناكت القوم عهدوهم: نقضوها»<sup>(3)</sup>.

ب-اصطلاحا: عرفت النكتة بتسميات عدة منها الحكاية المرححة، الحكاية الهزلية، النادرة، الفكاهة، الطرفة، المزحة. فهي « لون من ألوان الفكاهة، يتضمن خبرا قصيرا على شكل حكاية أو عبارة لطيفة، أو تركيبة لغوية معقدة، تنقطع فيها سلسلة التعبير المنطقي، أو على تلفيق أو تزيف، يحتاج إلى فطنة ودقة فهم لمعرفة الخلل، وهتك الدعوى الملفقة. فيحدث في النفس انبساطا مثيرا للضحك،

<sup>1</sup> أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، باب النون والكاف، تحقيق د/عبد السلام هارون، دار الفكر دمشق- سوريا، الطبعة الأولى 2007، ص:175

<sup>2</sup> ابن منظور : لسان العرب، مادة نكت ونكت، المجلد السادس، ص:4536

<sup>3</sup> المرجع نفسه، مادة نكت ونكت، المجلد السادس، ص:4536

بسبب إدراك مغزى الكلام أو العبث أو المتناقضات المفاجئة، بحالة غير مرتقبة»<sup>(1)</sup>. لذلك النكتة هي حكاية قصيرة، تتسم بالفكاهة، وتمنح المتلقي متعة وانبساطا، وانشراحا في النفس. ومن منظور علمي تكون النكتة نشاطا لفظيا إراديا، « يقصد من ورائه إحداث أثر سار لدى المتلقي له»<sup>(2)</sup>. ويبقى مقام الإضحاك والتسلية، ميزة هامة للنكتة من حيث كونها أسلوبا للترفيه والتسرية عن النفس.

تعد النكتة أيضا أسلوبا للنقد الاجتماعي، وفي حال ربط النكتة بفن "الكاريكاتير" التصويري الساخر، يمكن الفهم أن النكتة شكل فني من أشكال السخرية، فهي بذلك تشكل بناء معماريا للنقد الساخر من المجتمع بأفراده ومؤسساته. ولأن النكتة نتاج اجتماعي محدد تاريخيا واجتماعيا، فالمؤسسات الاجتماعية هي التي تبذل وتتبع النكتة بحسب مواقفها وأنماط انتماءاتها الاجتماعية. وفضلا عن إنتاج مختلف الشرائح الاجتماعية للنكتة، فهي تقوم أيضا بتسويقها وترويجها على مستوى الحياة الاجتماعية. كما أن لكل شريحة اجتماعية نكتها الخاصة بها، بحسب طبيعة الطبقة الاجتماعية، وكذا الانتماء الاجتماعي؛ فالمثقفون لهم نكتهم الخاصة بهم، والمعلمون كذلك، والأطباء لهم أيضا نكتهم المتعلقة بهم، وللسياسيين نكتهم التي تميزهم... لذلك تكون النكتة عادة، تعبيراً عن خصوصيات الطبقات الاجتماعية، وانشغالاتها الخاصة بها.

من هنا تكون النكتة الأنموذج الفني والإبداعي، وأنموذج الخلق والذكاء، لتصوير رمزية المخزون الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وكذا السياسي للمجتمع الإنساني بطريقة عجائبية أحيانا، تقوم على المفارقة والتكثيف والاندھاش، بالإضافة إلى عوامل التلميح والمفاجأة، تهدف للنقد والمتعة والإضحاك، فهي أنموذج "كاريكاتوري" للحياة الإنسانية في قالب حكائي.

## 2-نشأة النكتة:

النكتة هي تركيب لغوي قوامه كلمات رمزية، تصاغ ضمن إطار زمني وضمن ظروف اجتماعية معينة. تهدف لتحقيق غايات إنسانية، وتستلزم لذلك شروطا لغرض إضفاء جو من المرح والسعادة

<sup>1</sup> رابح العوي: أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر، د/ط، د/ت، ص:150

<sup>2</sup> عبد الحميد شاكر: الفكاهة والضحك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-دولة الكويت، الطبعة الأولى 2003، ص:387

والإشراح، في المتلقي بشكل مباشر، مع تعزيز وعيه الاجتماعي بطريقة غير مباشرة. لذلك لا يمكن تحديد الإطار الزمني والجغرافي (المكاني) لظهور النكتة، لأنها جزء هام جدا من الأدب الشعبي، الذي يروى وينقل مشافهة. غير أنه من الممكن التأكيد على أن النكتة ظهرت، خلال مرحلة زمنية تطورت فيها اللغة الإنسانية وتعمدت أكثر، مع تطور وتشابك الحياة الاجتماعية وتداخلها.

### 3- خصائص النكتة الشعبية المغاربية:

للنكتة الشعبية المغاربية، خصائص جمالية ومضمونية ووظيفية، تميزها عن سائر فنون الأدب الشعبي المغاربي أهمها:

- إثارة المتعة الجمالية، وبث الإحساس بالسعادة من خلال استعمال الأساليب الساخرة.
- تلبية الاحتياجات النفسية للإنسان، الذي يحتاج أحيانا للراحة والتسرية عن النفس، من خلال الاستمتاع بأجواء من المرح والسعادة.
- لا بد من وجود تلائم نفسي بين راوي النكتة والمستمع (المتلقي)، بغرض تحقيق الهدف الأساسي للنكتة، وهو بث المرح والسعادة والتسرية عن النفس.
- لا بد للنكتة أن تحوي شيئا رمزيا، يكون واضحا لدى السامع (المتلقي). ويتمكن هذا الأخير من فهم المغزى أو العبرة، مباشرة بعد الانتهاء من رواية نص النكتة.
- لا بد من توفر عنصر الإيجاز في النكتة، حتى لا تتميع خاصيتها الجمالية.

### 4- أصناف النكتة:

للنكتة في المغرب العربي، أصناف وأنواع هي:

- 1- النكتة البريئة: ويقوم هذا النوع من النكتة على أسلوب جمالي، يتوسل بالكلمات والتوريات، وتثير ضحكا أقل ما يكون لدى الكبار، الذين تهمهم العبرة من رواية النكتة، وضحكا أكثر لدى الصغار، الذين تهمهم التسلية وتزجية الوقت.
- 2- النكتة غير البريئة ولها هدفان:

- التعبير عن بعض الميولات العدائية، كالنكتة ذات الغرض السياسي، أو النقد الاجتماعي.

-التعبير عن بعض الميولات غير الأخلاقية، نتيجة الرقيب الاجتماعي. وهي عادة لا تقتصر على قائلها أو راويها، إنما تحدث الأثر لدى السامع.

3-النكتة الساخرة: وهي غالبا ما توجه للسخرية من جموع الناس، بسبب موقفهم من قضية ما، أو مسألة معينة تهم الرأي العام، أو تهم جوانب اجتماعية معينة.

بالإضافة إلى النكت التي تسخر من غباء الإنسان، ومن موقفه السلبي في المجتمع. كالسخرية من الجبن وعدم المروءة. أو السخرية من الشخصية غير المتوازنة، أو السخرية من بعض المظاهر الأخلاقية السلبية كالبنخل مثلا. وهذا ما يجعل النكت المتعلقة بالحشاشين والسكران وأغبياء الناس تكثر في الأوساط الاجتماعية المغاربية، لأن مثل هذه الفئات الاجتماعية، تمثل مظاهر سلبية في المجتمع المغاربي، بعيدة عن طموح أبناء المجتمع<sup>(1)</sup>.

5-وظائف النكتة: للنكتة وظائف نفسية واجتماعية، ترتبط عادة بالفكاهة. بالإضافة إلى وظائف جمالية أخرى، يمكن إجمالها في:

- تحقيق التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، والمحافظة على استمراريته.
- تعزيز قيم التماسك الاجتماعي بين الأفراد، لاسيما في أوقات الأزمات والحن، حيث تكون النكتة مطلوبة من أجل التخفيف من وطأة تلك الأزمات، بإثارة المرح والترويح عن النفس البشرية.
- نقد السلوكات الاجتماعية المشينة، من خلال رواية النكت الرمزية.
- نقل بعض المعلومات، عن بعض الأفراد والفئات الاجتماعية، نتيجة ظروف خاصة، من خلال استخدام النكت المضحكة والساخرة.
- نقد بعض سلوكات وممارسات السلطة الاجتماعية، بطريقة هزلية ضاحكة وساخرة، بالتأكيد على الدور الاجتماعي والانتقادي الفعلي للنكتة الشعبية.
- التعبير عن الإدراك العميق بطريقة فكاهية، لبعض التناقضات الاجتماعية، أو السلوكات البشرية.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي، ص: 224/223.

-التخفيف من حدة الأزمات النفسية، كالقلق والاكتئاب والغضب والإحباط، من خلال رواية النكت الفكاهية.

-التخفيف من وطأة القيود الاجتماعية، لاسيما تلك التي يفرضها الرقيب الاجتماعي على أبناء المجتمع، فيما يتعلق بالجوانب الأخلاقية.

-التنفيس عن بعض حالات اليأس والإحباط الاجتماعيين، نتيجة ممارسات السلطة الاجتماعية، أو نتيجة ظروف اقتصادية أو سياسية سيئة.

من خلال هذه الوظائف الجمالية والنفسية والاجتماعية، يتضح أن النكتة الشعبية في بلاد المغرب العربي، ذات وظائف تتجاوز حدود الفكاهة والتسلية، إلى وظائف أخرى متعلقة بطبيعة الحياة الإنسانية، بكافة أوجهها مهما تعددت واختلفت.

## المحاضرة الثانية عشر

### الأسطورة والخرافة الشعبية المغاربية

عادة ما تتردد كلمتا الأسطورة والخرافة، في الأوساط الاجتماعية والشعبية، وحتى الثقافية والعلمية. وهما كلمتان مترادفتان من حيث المعنى؛ « فالأسطوري والخرافي كلمتان متساويتان تماما عند كثير من الناس؛ لأن كليهما يصور الشئ البعيد عن المنطق والمعقول»<sup>(1)</sup>. لذلك فهم يخلطون بين مفاهيم

الأسطورة والخرافة، مما يستدعي من الناحية المنهجية، التفريق بينهما.

فمن الناحية الأنثربولوجية الأسطورة هي « حكاية خرافية وملحمية تدخل في عداد التراث الثقافي لجماعة، تربطها علاقة مع التاريخ، وظروف وجود هذه الجماعة»<sup>(2)</sup>.

في حين تكون الحكاية الخرافية لدى بعض الباحثين، أسطورة، لأن هناك تصنيفات متعلقة بها، كـ« الأسطورة الاجتماعية، الأسطورة السياسية، الأسطورة البطولية، الأسطورة العقائدية، الأسطورة التاريخية، الأسطورة الأدبية، أساطير الأطفال»<sup>(3)</sup>. ومن الباحثين أيضا من يعتبر الأسطورة والخرافة، مصطلحين مترادفين، بحكم أن كليهما يمثل سردا قصصيا، أو قصة خرافية فيها الكثير من المبالغة والتهويل، والخارج عن نطاق العقل.

فكلمة "أسطورة" التي تقابل الكلمة اليونانية Meta هي المرويات التي لها علاقة بالدين. والدارسون العرب يسمون ما يقابل "ميتا" بـ "أسطورة" أو "خرافة" أو "حكاية خرافية".

وعند "ابن منظور": « السطر والسطر، الصف من الكتاب والشجر والنخل ونحوها (...) والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير (...) والسطر: الخط من الكتابة، وهو في الأصل مصدر»<sup>(4)</sup>.

وفي قول "الله تعالى": ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾<sup>(1)</sup>. وقال "الله تعالى": ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾<sup>(2)</sup>. حيث يلاحظ تكرار ذكر لفظ "الأساطير" تسع مرات في القرآن الكريم<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي، ص: 17.

<sup>2</sup> رشيد بن مالك: قاموس التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الأولى 2000، ص: 117.

<sup>3</sup> محمد المرزوقي: في الأدب الشعبي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1967، ص: 93.

<sup>4</sup> ابن منظور: لسان العرب، باب السين، مادة سطر، المجلد الثالث، ص: 2007.

يتحدث "القرآن الكريم" عن تكذيب مشركي "قريش" للرسول "محمد" -عليه الصلاة والسلام-، وما نزل عليه من الوحي. فمفهوم الأسطورة في "القرآن الكريم"، يتعلق بارتباطها بالأديان والمعتقدات السابقة، وما جاء به الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام-، لذلك سميت بـ"الأساطير" وهي في مفاهيم الإنسان القديم "الأخبار" و"الأحاديث" و"القصص" التي أثرت عن الأولين. ويبقى الجذر اللغوي "سطر" هو الأصل الأساسي للفظة الأسطورة، ويرتبط الجذر بـ"الكتابة"<sup>(4)</sup>.

تعني الأسطورة في المعنى الاصطلاحي « قصة يغلب عليها الوضع بطبيعة الحال، تتعلق في الغالب بالإلهيات لدى الأمم. يعمد مخترعها الأول إلى ربط شيء بشيء ما أو بشيء آخر. أو ربط ظاهرة ما بظاهرة أخرى (...) » وهي تروي أحداثاً تتجاوز الواقع والمنطق، وتهدف دائماً إلى تفسير أصل الحياة، وأسرار الكون والوجود، ومحاولة الإجابة عن الأسئلة المرتبطة بها<sup>(5)</sup>.

كما تعني الأسطورة « حكاية إله أو كائن أو شبه كائن خارق، تفسر بمنطق الإنسان البدائي ظواهر الحياة والطبيعة والكون، والنظام الاجتماعي وأوليات المعرفة. وهي تنزع في تفسيرها إلى التشخيص والتمثيل والتجسيم، وتنأى بجانبها عن التعليل والتحليل، وتستوعب الكلمة والحركة والإشارة والإيقاع<sup>(6)</sup>. لذلك تكون الأسطورة شكلاً من أشكال الاعتقادات الدينية القديمة. وطريقة للتفكير الروحاني للإنسان البدائي. ومحاولة منه لتفسير مختلف الظواهر الطبيعية، بغرض الوصول إلى أصل الكون والحياة.

لكن ما طبيعة العلاقة بين الأسطورة والحكاية الخرافية في الأدب الشعبي المغربي، وسائر الآداب الشعبية العربية والعالمية؟...

تبحث الأسطورة في حياة وأعمال الآلهة، وتتناول الخرافة حياة الملوك والشخصيات الإنسانية البحتة. فالبطل في الأسطورة هو بداية نصف "إله" يولد بطريقة عادية ويتعرض للتشرد، لأن والده

<sup>1</sup> القرآن الكريم: سورة الأنعام، الآية: 25، برواية ورش عن الإمام نافع

<sup>2</sup> القرآن الكريم: سورة الفرقان، الآية: 05 برواية ورش عن الإمام نافع

<sup>3</sup> يراجع في ذلك عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، -الجزائر، الطبعة الأولى، 1989، ص: 15.

<sup>4</sup> يراجع في ذلك إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص: 41.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص: 44

<sup>6</sup> عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، ص: 20

رأى في حلم له ، أن ابنه يشكل خطرا على حياته. فتتم تربية الطفل مع الحيوانات أو المخلوقات الأسطورية. مع مرور الوقت يكشف الطفل عن قوته وشجاعته الأسطورية في سن مبكرة، مع أنه يتظاهر بالسذاجة والبلادة. فتظهر معه القوة الخارقة لقتال وحوش خرافية، وفي قتال التنانين وغيرها من الكائنات الخرافية الأخرى. ثم يحصل على عروس مكافأة له، على قتاله وقهره لتلك الكائنات الخرافية الشريرة، التي كانت تشكل مخاطر على البشر. ثم يقوم برحلة إلى العالم السفلي، ويعود إلى بلاده وينتصر على أعدائه. ولا يموت بطل الحكاية الخرافية، مهما كانت الصعوبات والعوائق التي تعترضه، إنما يحصل أخيرا على كل ما يريده.

وظاهرة إبعاد الطفل الأسطوري عن أبويه في بدايات حياته، ظاهرة تكاد تكون عامة في الحكاية الخرافية أيضا، في أكثرية النصوص الخرافية العالمية. ولا يظهر الأبوان في حياة الطفل، إلا بعد خوض مغامراته، وتحقيق مطالبه، وهو ما يتفق مع صفات البطل الأسطوري.

وقد لاحظ المختصون في الميثولوجيا ( علم الأساطير)، التداخلات المشتركة بين الأسطورة والخرافة. حيث اعتبر بعض الباحثين الحكاية الخرافية، نصا انتج ثقافيا من لدن الإنسان، بعد تطور تاريخي للأسطورة، حيث كانت الأسطورة أسبق من الخرافة من الناحية الزمنية.

و« الأسطورة التي ينظر إليها اليوم على أنها قصة خرافية، كانت في يوم ما عند شعب من الشعوب عقيدة دينية راسخة. ولكن مع مرور الزمن يتعرض المجتمع للتطور، ويتغير الدين الرسمي بفعل ذلك التطور. ونجد عناصر ثقافية جديدة أقوى تدخل عقيدة المجتمع، فينفرط عقد الأسطورة الأولى، وتنحدر من عليائها؛ حيث كانت تمثل العقيدة الدينية، وتنحدر إلى سفح الكيان الاجتماعي أو ترسب في اللا شعور. وتظل على الحالين عقيدة ثانوية أو ضربا من ضروب السحر، أو الممارسة غير المعقولة، أو الشعيرة الاجتماعية. وكثيرا ما تتحول إلى محاور رئيسة تعاد صياغتها في حكايات خرافية»<sup>(1)</sup>. لذلك تكون الأسطورة أشبه ما تكون بالمادة في حياة الإنسان، فهي تعدل صورها

<sup>1</sup> نمر سرحان: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2008، ص:26

وأشكالها ومضامينها ووظائفها. أو تبقى كعقيدة في أعماق النفس البشرية، وتؤلف المزيد من العقائد الثانوية، أو الترسبات الذهنية، والأوهام.

كما تتميز الأسطورة بارتباطها بنظام ديني معين، في حال انهيائه تحولت إلى مجرد حكاية بشرية عادية، تنتمي إلى أي نوع من الأنواع الأدبية المعروفة، وقد تنصهر بعض عناصرها في الحكاية الشعبية<sup>(1)</sup>.

غير أن "كلود ليفي ستراوس" يرى أن أساطير أمة ما، يمكن أن تصير حكايات خرافية من منظور أمم أخرى لا تؤمن بها، لذلك فمن الممكن للأسطورة والخرافة ألا يتعايشا، لدى شعب واحد وفي زمن تاريخي واحد، لأنه من المحتمل أن يكون هناك خلافا، بين مختلف شرائح المجتمع الواحد، حول الاعتقاد بصدقية الأسطورة أو الخرافة من عدمهما<sup>(2)</sup>.

وهناك اتفاق بين الدارسين المتخصصين، حول وجود موضوعات وعناصر (موتيفات) وشخصيات مشتركة، بين بعض الأساطير والحكايات الخرافية العالمية وكذا المغاربية. إلى جانب وجود فروقات بين الأسطورة والخرافة من حيث بعض التقاطعات الثنائية، كثنائية (بشري/إلهي)، (دنيوي/مقدس)، (فيزيقي/ميتافيزيقي). فيلاحظ أن الأسطورة تعالج كل ما هو متعلق بـ"المقدس"، وشؤون "الآلهة"، وما يتعلق بالعالم الماورائي بمفاهيمه الدينية. في حين تعنى الخرافة بمعالجة كل ما يتعلق بالجوانب الدنيوية، والعلاقات البشرية فيما بينها<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> يراجع في ذلك خزعل الماجدي: بخور الآلهة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة الأولى 1998، ص: 93

<sup>2</sup> يراجع في ذلك عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، ص: 147.

<sup>3</sup> يراجع في ذلك المرجع نفسه، ص: 146.

## المحاضرة الثالثة عشر

### مناهج تحليل ودراسة الأدب الشعبي

هناك مناهج دراسية وعلمية عديدة، في دراسة وتحليل الأدب الشعبي بصفة عامة، أثبتت قيمتها العلمية، وقدمت نتائج غاية في الأهمية، حول الموروث الشعبي المحلي والعالمي، وأهم هذه المناهج:

#### أ- المنهج التاريخي الجغرافي:

يسمى كذلك المنهج التاريخي الجغرافي بالمنهج المقارن. فالمقارنة لم تعد « تشمل تأثير القصص الشعبي عند شعب في مثيله بشعب آخر. كما أنها لم تهدف من المقارنة تبيان الزمان والمكان اللذين نشأت فيهما الرواية الأولى لنمط ما فحسب. كما كان ذلك هو الهدف الرئيس، الذي يسعى إلى تحقيقه أصحاب المنهج الجغرافي التاريخي وعلى رأسهم "أنتي آرنى". وإنما تسعى الدراسات الشعبية المقارنة الآن-فضلا عن ذلك- إلى تحقيق دراسات شعبية واسعة النطاق، فما يعتري الرواية من حذف وإضافة وتحويل وتغيير قد يكشف عن ظروف الشعوب النفسية والاجتماعية، التي تشكل الرواية وفقا لهما؛ أي أن الرواية تتغير محليا وإن احتفظت بأهم عناصر الرواية الأولى»<sup>(1)</sup>. وهذا من خلال إعادة تشكيل تاريخ حكاية شعبية مركبة، وأحيانا أخرى تاريخ أغنية شعبية أو عنصر آخر من عناصر التراث الشعبي.

وقام الباحثون المختصون بتطوير هذا المنهج، من أجل تجنب الأحكام والتعميمات التي لا تمت بصله للروح العلمية، في تحديد طبيعة النتائج المتوصل إليها، خصوصا فيما يتعلق بدراسة الحكاية الشعبية من حيث الأصل والنشأة.

ويختص المنهج التاريخي الجغرافي، بدراسة الحكاية الشعبية، من حيث النشوء والتطور والانتشار؛ فقد توجد للحكاية الشعبية الواحدة في المغرب العربي مثلا، الكثير والكثير من مثيلاتها التي رويت مشافهة، ونشأت ضمن أطر زمنية ومكانية معينة، عن طريق عملية إبداع واعية. مما يثبت أن مثل

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، دط، دت، ص: 220/219

هذه الحكايات قد انتقلت من موضع إلى موضع آخر، مما يجعل القصة الشعبية تتأثر ، بعملية الانتشار هذه.

ويفرض المنهج الفنلندي الحديث، على الباحث المختص في التراث الشعبي المقارن، بعض الالتزامات المنهجية. فبعد اختيار الحكاية أو الأسطورة، أو أي نوع من أنواع الأدب الشعبي، لغرض الدراسة والبحث، يجب على الباحث جمع نصوص هذه الروايات من التجميعات المطبوعة، وأرشيفات الفلكلور، والكتب المختلفة. ويقوم الباحث بتحليل الحكمة الأساسية إلى وحدات أو عناصر جزئية أساسية، وإعداد جداول النسب المئوية لعدد مرات ظهور كل عنصر ، في جانب ما من جوانب الحكاية الشعبية، «وإعداد خرائط تبين التوزيع الجغرافي لهذه العناصر. كذلك يقوم بتقييم التسجيلات الأدبية المبكرة، ثم تحديد أقدم عناصر القصة»<sup>(1)</sup>.

وقد واجه المنهج الفنلندي انتقادات شديدة وتحفظات هامة على طريقته في دراسة الأدب الشعبي، لاعتباره القصص الشعبية المدروسة مجرد تجريدات إحصائية، ورموز، وجداول ، وأعداد، وملخصات، وخرائط، متجاهلا بذلك الجوانب الجمالية والأسلوبية للقصة الشعبية. بالإضافة لتجاهله للجانب البشري وعلاقته بالإبداع الشعبي، كدور الراوي مثلا. كما أن طبيعة المنهج الفنلندي، لا تتناسب مع ما يتم الوصول إليه من نتائج<sup>(2)</sup>.

## ب- المنهج النفسي:

يعود الفضل في ترسيخ دعائم هذا المنهج، إلى الباحث النفساني "سيجمند فرويد"، الذي اعتمد بقدر كبير على الأساطير والحكايات الشعبية والعالمية، والخرافات والنوادر، وما يتعلق بـ"الطابوهات" (المحظورات)، في إعداد نظرية نفسية هامة جدا، لتفسير العقل الباطن. ويعرض في كتابه الشهير "تفسير الأحلام" الذي صدر سنة 1900م، لنظريته في التحليل النفسي، بأن الأحلام مجرد مداراة رمزية للرغبات والمخاوف، التي تعرض للإنسان منذ حداثة سنه. وكانت تلك الخطوة الأولى في منهج التحليل النفسي لـ"فرويد". ثم بعد ذلك كانت الخطوة الموالية، وهي معادلة الأحلام بالأساطير

<sup>1</sup> ريشارد.م. درسون: نظريات الفلكلور المعاصرة، ترجمة: حسن الشامي ومحمد الجوهري، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر-السعودية، الطبعة الأولى 2002، ص:44

<sup>2</sup> يراجع في ذلك المرجع نفسه، ص:47.

وكل ما يتعلق بها من التراث الشعبي. وفي هذا الصدد كانت أسطورة "أوديب" اليونانية أنموذجا هاما للأسطورة والخرافة، التي تكشف الرغبات والدوافع الباطنية الغامضة والمكبوتة لدى الأطفال، الذين يعانون من عقد الكبت الشعوري.

والمعروف أن أسطورة "أوديب" هي رمز لتعلق الرجل بالمرأة. وهي الأنموذج الذي بنيت عليه فيما بعد، مختلف التفرعات الأساسية المتعلقة بالتحليل النفسي للتراث الشعبي. وهو ما قام به تلامذة "سيجمند فرويد" فيما بعد، من خلال بحوثهم المتخصصة، لدراسة رموز المعاني المتعلقة بالعادات والمعتقدات الشعبية، إلى جانب الطقوس الاجتماعية، والقصص، والألعاب ذات العلاقة المباشرة بالتقاليد الشعبية. وهي البحوث التي لاقت النشر الكبير، في مختلف الدوريات العلمية الأكاديمية المتخصصة.

وفي عام 1913م، أسس "كارل يونج" مدرسته في علم النفس التحليلي بـ "سويسرا". حيث رفض "يونغ" وتلامذته مقترحات مدرسة التحليل النفسي لـ "فرويد" في بعض جوانبها، التي تجعل من علم النفس الإكلينيكي (العيادي) أنموذجا للتفسيرات الجنسية. حيث صارت مدرسة "يونغ" فيما بعد تعرف بـ "مدرسة علم النفس التركيبي".

وفي دراسة "يونغ" للعناصر الشعبية التي تكون اللاشعور الجمعي، يعتقد بأن الرواسب التي بقيت عالقة بعقلية الإنسان، منذ العصور البدائية الأولى تسمى بـ "النمط الأصلي". لذلك تركز منهج التحليل النفسي من منظور "يونغ"، حول الكشف عن التجارب النفسية، ذات العلاقة بالطابع الجماعي، من خلال التعريف بالأصول الأولى للحضارات الإنسانية.

والنمط الأصلي من منظور "يونغ" « هو تلك القوى المتدفقة في اللاشعور، التي تدفع الإنسان نحو الحركة لخوض التجارب حتى يصل إلى الكل الكامل. وهو يعيش جنبا إلى جنب مع قوة لاشعورية أخرى، هي قوة الغريزة بل ويصاحبها وكأنه إنسان خير يسير بصحبة إنسان شرير، يحاول أن ينفلت من تأثيره وينتصر عليه. وحتى يصل الإنسان إلى مرحلة الانسجام مع الوجود الكلي، فإنه يمر في رحلة نفسية طويلة يصورها أروع تصوير، وفق ما يحتوي عليه تراثنا الشعبي من رموز»<sup>(1)</sup>. والذي يهتم القارئ

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة غريب القاهرة-مصر، د/ط، د/ت، ص: 238

المميز في القصص الشعبي، ليست طبيعة السرد أو الجوانب الفنية، ورصف الأحداث، وعناصر التشويق فقط، إنما الجوانب الرمزية أيضا التي يمكن أن تؤدي دورا هاما، في تفسير المعاني الضمنية للقصص الشعبي. لذلك يلاحظ أن الحكاية الشعبية يمكن أن تشمل أكثر من معنى، والذي لا يمكن أن يحدد بدقة أو تفسير تام ونهائي. فالتجارب الإنسانية تحمل الكثير من القلق، والهموم والسعادة في مختلف صورها البدائية والرمزية.

إن التجربة الشعورية التي صدر عنها الإبداع الشعبي، في مرحلة تاريخية معينة، قد لا تكون واضحة بالنسبة للإنسان الحديث. كما أن أشكال التعبير الشعبي، لا تمثل بالضرورة النقل المباشر، للتصورات والمعتقدات الدينية القديمة، لأنها بالدرجة الأولى هي من إبداع الإنسان الشعبي العادي. فمظاهر الفرح والمرح والدعابة واللهو، هي من المصادر النفسية لتكوين بعض العناصر الأساسية للفلكلور. غير أنه لا يمكن اعتبار، الأنواع الأدبية الشعبية دائما، مجرد حالات نفسية، قابلة لتفسير الحالات الشعورية واللاشعورية للإنسان الشعبي.

### ج-المنهج الوظيفي:

غالبا ما تتحاشى النظرية الوظيفية في دراسة التراث الشعبي، الاهتمام بموضوعات الأصول وعوامل الانتشار. وتهتم بالدور الذي يؤديه التراث الشعبي، في تكوين ثقافة إنسانية معينة. وقد لاقى المنهج الوظيفي اهتمام علماء الأنثروبولوجيا الثقافية في "الولايات المتحدة الأمريكية" على وجه الخصوص، وهذا تبعا لطبيعة تكوين أجزاء المجتمعات الإنسانية مع بعضها البعض. فكيف يمكن للتراث الشعبي أداء وظيفته في الحياة الثقافية الإنسانية؟..

ارتبط ظهور المدرسة الوظيفية بظهور الأنثروبولوجية الاجتماعية على يد "مالينوفسكي" Malenoviski و"برون" Brown اللذان حاولا في بحثهما تصحيح مواطن الضعف التي تميز بها المنهج الوظيفي. كما برز أيضا في مجال الدراسات الوظيفية الشعبية مجموعة من الباحثين المميزين منهم: "فرانز بواس" و "فان جنب" و "وليام باسكوم".

ويعتبر "فرانس بواس" من أهم الرواد الأوائل للمدرسة الوظيفية في دراسة التراث الشعبي والفلكلور، حيث أسهم كثيرا في تحديد العلاقات القائمة بين الأدب الشعبي، والأسطورة، والفلسفة والدين من جانب؛ والحياة اليومية الشعبية للشعوب والأمم.

كما قدم "مالينوفسكي" في بحوثه وصفا "إثنوغرافيا" لحياة الشعوب وتطورها. حيث أن الغرض الأساسي من دراسة الأنظمة السلوكية للشعوب والأمم، والعلاقات المتداخلة بين هذه الأنظمة وتحليلها، يمثل خدمة علمية ومنهجية للمنهج الوظيفي، الذي يعنى باستمرار إبراز الدور الوظيفي لهذه الأنظمة، سواء أكانت على حدة، أو متداخلة فيما بينها وكذا في حياة الشعوب، ومدى انعكاس هذا التداخل على المظاهر الحضارية لأي شعب ولأية أمة.

وقد كان اهتمام "مالينوفسكي" بمختلف المظاهر الثقافية المادية منها، وغير المادية والمتعلقة أساسا بمجتمعهم الطبيعي الذي ينتمي إليه. وأعطى أهمية كبيرة للجانب الشفوي، كالأسطورة مثلا؛ حيث أنه لم يدرس الأسطورة المدونة (المكتوبة)، إنما درس الأسطورة التي لا تزال سائدة بين الشعوب البدائية التي زارها. «وقد خلص من ذلك إلى أن الأسطورة تجربة يعيشها الإنسان البدائي، ويؤمن كل الإيمان أنها تؤثر في وجوده ومصيره...»<sup>(1)</sup>.

ويحدد الباحث "ويليام باسكوم" أسس الدراسة الوظيفية للفلكلور، بثلاثة أسس أساسية هي:

**1- الأساس الاجتماعي للفلكلور:** ويتعلق أساسا بطبيعة السياق الاجتماعي للموروث الشعبي، وذلك بدراسة موقع العناصر الشعبية في الحياة الاجتماعية اليومية للناس. كما يهتم هذا الأساس بأزمة رواية مختلف أشكال التعبير في الفلكلور ومكانها، وطبيعة الرواة والجمهور المتلقي، والأساليب الفنية المستخدمة في هذا الشأن.

**2- الأساس الثقافي للفلكلور:** ويتمثل في العلاقة القائمة بين عناصر الفلكلور، والجوانب الثقافية الأخرى. بالإضافة إلى دراسة مدى انعكاس عناصر الفلكلور على ثقافة المجتمع، كالشعائر الدينية، والأنظمة الاجتماعية، والعادات والتقاليد.

<sup>1</sup> نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، ص: 182

**3- الأساس الوظيفي للفلكلور:** يبين هذا الأساس مختلف العناصر الشعبية من حيث الوظيفة، وأثرها في الثقافة الشعبية، والممارسات السلوكية للأفراد، كتأثير بعض المعتقدات مثلاً<sup>(1)</sup>.

#### **د-المنهج البنيوي:**

حظي هذا المنهج باهتمام الكثير من الباحثين المتخصصين في مجال الدراسات الشعبية. كما حظي باهتمامهم في مختلف الفروع والتخصصات العلمية الأخرى، لاسيما في جوانب الفلسفة والعلوم الإنسانية، والآداب واللغات. ولم تتبن الدراسات الشعبية المنهج البنيوي، إلا في أزمنة حديثة متأخرة. وعادة ما يتعرض هذا المنهج، لدراسة الأشكال بوصفها كلا متناسقا ، تخضع لأنساق وأنظمة تكوينية معينة، بتحليلها إلى جزئيات أساسية مكونة لها<sup>(2)</sup>. وغالبا ما يخضع هذا النوع من الدراسات، لخصوصيات داخلية مغلقة، تعتمد على دراسة النوع الأدبي الشعبي، كبنية مغلقة محايثة ومكتفية بذاتها، مبعدة بذلك كل ما يرتبط، بالسياقات الخارجية للنوع الأدبي المدروس.

ويمكن في هذا المنهج الحديث، التطرق لاتجاهين أساسيين، مثلاً أسسا معرفية هامة في الاتجاه البنيوي، هما:

#### **1-منهج فلاديمير بروب والتحليل المرفولوجي(الشكلي) للحكايات الشعبية:** جاء هذا المنهج

البنيوي الشكلي، نتيجة لتنظيرات الباحث الروسي الشهير "فلاديمير بروب"، ليسجل أهم مساهمات التحليل البنيوي الحديث، للحكايات الشعبية الروسية. وقد نشرت إسهاماته في كتاب لأول مرة باللغة الروسية سنة 1928م. ثم صدرت الترجمة الإنجليزية للكتاب لأول مرة سنة 1958م، بعنوان "مرفولوجية الحكايات الشعبية" Morphology of the folktale. ويعد "بروب" المؤسس الفعلي لهذه الرؤية العلمية الشكلية الجديدة، في الدراسات الشعبية والأدبية الحديثة.

وكان "بروب" قد قدم رؤيته البحثية هذه، لتحل محل رؤية "أنتي آرنى". حيث رأى أن تصنيف الحكايات الشعبية ، من خلال الشخصيات -وفق ما قام به "آرنى"- من الناحية المنهجية لا يقدم

<sup>1</sup> يراجع في ذلك المرجع السابق، ص: 191

<sup>2</sup> يراجع في ذلك المرجع نفسه، ص: 277

نتائج مرجوة؛ إذ أن الفعل الخاص بالشخصيات، يمكن أن يتكرر على مستوى حكايات مختلفة، ويتعاقب مع الحدث بشكل نمطي ثابت.

ويسمى "بروب" ثنائيات الحدث التي تطلع بها الشخصيات، بـ"الوظائف". ويسمى الشخصيات الكثيرة الظهور بـ"الشخصيات البطلة". كما أحصى "بروب" إحدى وثلاثين وظيفة للشخصيات البطلة، «كما يشكل ترتيبها المتتابع مورفولوجية الحكاية الخرافية، وأمكن تحديد مكان كل حكاية روسية من المجموعة، داخل هذا الإطار الهيكلي العام»<sup>(1)</sup>. وبعد ترجمة كتاب "بروب" إلى اللغة الإنجليزية، لاحظ الباحثون أن التحليل المورفولوجي المعتمد على مستواه، ينطبق على أكثرية القصص الشعبي العالمي، وهذا سر شهرة الكتاب عالميا وفي مختلف الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث المتخصصة.

يبلغ عدد الوظائف التي استنتجها "بروب" في كتابه، إحدى وثلاثين وظيفة بنوية. وإذا كانت هذه الوظائف، لا ترد في كل حكاية، فهي لا تخرج عن الإطار العام للحكاية الشعبية المدروسة. كما يورد "بروب" في مقدمة كتابه سبع وظائف أساسية، يعتبرها تمهيدا لبقية الوظائف الأخرى. والوظائف الكاملة الموجودة في كتاب "بروب" هي كالاتي:

- 1-الغياب (يكون في غياب أحد أفراد الأسرة عن البيت).
- 2-التحريم أو المنع(تحذير بطل الحكاية من ارتكاب شيء محظور).
- 3-ارتكاب المحظور أو تجاوز التحريم(عدم الأخذ بالتحذير).
- 4-الاستدلال(بيذل الشرير محاولة للاستدلال أو الاستطلاع).
- 5- محاولة الحصول على معلومات(يتلقى الشرير معلومات عن ضحيته).
- 6-الخداع(يحاول الشرير خداع ضحيته ليأخذ مكانها أو ما تملكه).
- 7-مشاركة تلقائية في الجريمة(وقوع الضحية في الشرك ومساعدتها لا إراديا). ثم تبدأ بعد ذلك الحركة الفعلية في الحكاية من الوظيفة الثامنة، التي يعتبرها "بروب" ذات أهمية خاصة.

<sup>1</sup> ريشارد.م. درسون: نظريات الفلكلور المعاصرة، ترجمة: حسن الشامي ومحمد الجوهري، ص: 112/111

- 8-النذالة (يحدث الشرير الضرر بأحد أفراد الأسرة).
- 9-طلب النجدة والمساعدة (محاولة معرفة الضرر، وإصلاحه من لدن البطل).
- 10-أبطال فعل الإصلاح(موافقة البطل على إصلاح الضرر).
- 11-الرحيل(يكون بترك البطل لمنزله ومغادرته، من أجل القيام بمهمة ما). وتؤدي الوحدات الثامنة، التاسعة، العاشرة، الحادية عشر، إلى مرحلة التأزم الفعلي في الحكاية الشعبية.
- 12-الاختبار( يكون بإخضاع البطل لامتحان ما، للحصول على المساعدة من لدن الشخصيات المانحة).
- 13-رد فعل البطل(يتمثل في استجابة البطل، لمساعدة الشخصيات المانحة).
- 14-الأداة السحرية( هي أداة غير واقعية، توضع عادة تحت تصرف البطل، في الحكاية الشعبية).
- 15-الانتقال من مكان لآخر( يكون بانتقال البطل إلى المكان المجهول، أين توجد حاجته التي يلتمسها).
- 16-الصراع(ويكون من خلال المواجهة بين بطل الحكاية والشرير في المعركة).
- 17-العلامة(وهي آثار الجرح التي تبقى في جسد البطل، بعد إصابته في المعركة).
- 18-الانتصار(يكون بهزيمة الشرير على يد البطل، أو هروب وانسحاب الشرير بعد خوضه للمعركة).
- 19-إصلاح الأضرار(يكون بعد هزيمة الشرير في المعركة، وتحقيق البطل لهدفه).
- 20-العودة(يعود البطل منتصرا إلى بلاده).
- 21-المطاردة(تكون باقتفاء الشرير لأثر البطل).
- 22-الإنقاذ(يكون بهروب البطل من الذين يقتفون أثره).
- 23-التنكر(يكون بوصول البطل إلى بلاده، أو إلى بلاد أخرى، دون أن يتعرف عليه أحد).
- 24-التمويه(يكون بادعاء البطل المزيف القيام بأعمال غير موجودة، وعادة ما يكون البطل المزيف أخا للبطل الحقيقي).
- 25-المهمة الصعبة(وتكون بتكليف البطل، بإنجاز عمل يصعب تحقيقه).

26-التنفيذ(يكون بتنفيذ البطل ، لما اقترح عليه من أعمال ومهام).

27-التعريف ( يكون بالتعريف بالبطل).

28-الافتضاح( يكون بالكشف عن هوية البطل المزيف).

29-تغير المظهر( ويكون في ظهور البطل، بوضع جديد).

30-العقاب ( يعاقب البطل المزيف على فعلته أو أفعاله).

31-التتويج أو الزواج (يكونان باعتلاء البطل للعرش، وتبوءه لسدة الحكم؛ أو بالزواج).

## 2-اتجاه كلود ليفي ستراوس:

قدم عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي "كلود ليفي ستراوس" اتجاهها آخر في دراسة النصوص الفلكلورية، هو من صميم الاتجاهات البنيوية الحديثة. يقوم هذا الاتجاه على النظرية اللغوية، حيث اقترح في مقاله الشهير "الدراسة البنائية للأسطورة" توجهها جديدا في دراسة و تفسير الأساطير.

وقد كانت المدارس التي سبقته ، تحاول دائما التوصل إلى بعض النتائج الأساسية، مع المقارنة البسيطة بين نصوص الأساطير، والسياق الثقافي الذي نشئت ضمنه الأسطورة. لذلك كانت الأسطورة من منظور هذه المناهج، إما أنها تعكس طبيعة السياق الثقافي بشكل إيجابي، أو إنها تعطي رؤية سلبية عن ذلك السياق الذي نشئت ضمنه.

وعن التشابه الحاصل بين الأساطير، في مختلف أرجاء العالم، يقدم "كلود ليفي ستراوس" رؤيته في هذا الصدد، من حيث إمكانية العثور على إجابة لهذا الانشغال، من خلال البناء المنطقي الموجود على مستوى التفكير الإنساني، بما في ذلك التفكير البدائي لدى الإنسان.» وقد استشهد ليفي ستراوس بأسطورة أوديب وبعض أساطير هنود أمريكا الشمالية؛ فشرحها على أساس مجموعات ، أو حزم العلاقات»<sup>(1)</sup>.

<sup>1</sup> ريشارد.م. درسون: نظريات الفلكلور المعاصرة، ترجمة: حسن الشامي ومحمد الجوهري، ص:116

ويلاحظ أن المقترح النسقي لـ "كلود ليفي ستراوس" يعتمد في أساسه على ترتيب الملامح القصصية في الأسطورة الشعبية، على نحو ما ، بحيث يمكن للأسطورة الكشف عن البنية المتعلقة بتلك الملامح. في حين تتبعت رؤية "فلاديمير بروب" النسق البنيوي في دراسة الحكاية الخرافية الشعبية في "روسيا". وقد مثلت الرؤيتان أبرز النظريات البنيوية الحديثة، في دراسة القصص الشعبية و الأعمال الأدبية السردية، فهما أنموذج المنهج التركيبي البنيوي، الذي يعتمد تتبع ووصف البنى التركيبية للنص، من خلال أنساق العلاقات الجزئية المكونة له.

وما قام به "كلود ليفي ستراوس" هو السعي إلى التوصل لأنموذج البنيوي المكون، للإطار التصوري للأسطورة. في حين يضع "فلاديمير بروب" بناء الحكاية وفق العلاقات التي تنظم أجزائها المكونة لها، في الاعتبار الأول.

وتهدف هذه المقاربات البنيوية الإجرائية، إلى تحديد الخصائص البنيوية المكونة، للموروث الشعبي الحكائي. وما قدمه "كلود ليفي ستراوس" في نظريته البنيوية، هو محاولة الكشف، عن طبيعة الوحدات الجزئية المتعارضة ضمن الأسطورة، بهدف الوصول إلى خصائص البناء الاجتماعي الذي نشأت فيه. « وهو يعني مجموعة الألفاظ التي يجمعها اشتقاق واحد. كما يعني مجموعة الألفاظ ذات الطابع المتجانس في المعنى، وإن ظهرت متعارضة مثل الحب والكراهية، والفرح والحزن، والقسوة والشفقة؛ بمعنى مجموعة التراكيب أو الألفاظ ذات دلالات ذهنية أو نفسية مترابطة، كالمفردات مثل الحياة والموت»<sup>(1)</sup>.

والواضح أن "كلود ليفي ستراوس" نظر إلى نص الأسطورة من الداخل لا من الخارج، كما استخدم النظام العمودي في ترتيب الوحدات الجزئية المكونة للأسطورة، على نقيض ما قام به "فلاديمير بروب" الذي اهتم بالوظائف والجانب الشكلي فقط. وهذا ما يمكن القارئ من الربط بين الوحدات الجزئية المكونة لنص الأسطورة، والسياقات الاجتماعية الخارجية التي نشأ فيها النص. فإقبال الشخصية الرئيسة في الأسطورة على المغامرة، ثم عودتها إلى البيت بعد مغامرتها تلك. والتحریم الذي يفرض

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 116

عليها، والضرر الذي قد يلحقها بسبب ارتكابها للمحظور، كلها عوامل تثبت وجود نظام اجتماعي معين، يحدد سياقات النص الخارجية.

## المحاضرة الرابعة عشر

### الأبعاد العجائية في الأدب الشعبي المغربي

#### أ-تعريف العجائبي:

**1-لغة:** يورد "ابن منظور" تعريف لفظه "عجب"، فيقول: «العجب والعجب: إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، وجمع العجب: إعجاب، قال:

ياعجبا للدهر ذي الأعجاب      الأحذب البرغوث ذي الأنياب

وقد عجب منه يعجب عجبا، وتعجب واستعجب، قال:

ومستعجب مما يرى من أناتنا      ولو زنته الحرب لم يترمم

والاستعجاب : شدة التعجب. وفي النوادر: تعجبي فلان وتفتني، أي تصباني، والاسم العجبية والأعجوبة. والتعاجيب: العجائب، لا واحد لها من لفظها، قال الشاعر:

ومن تعاجيب خلق الله غاطية      يعصر منها ملاحى وغريب<sup>(1)</sup>.

**2-اصطلاحاً:** العجائية هي نزعة إنسانية، تهدف إلى ابتكار الجديد والعجيب الذي ينحو منحى الغرائبية. والعجيب هو كل ما يتجاوز المؤلف، ويتخطى المستحيل، ويحقق ما لا يمكن تحقيقه من منظور العقل، فيحدث حالة من الدهشة، متوسلا بالابتكار الذي يقيم علاقات غريبة وغير ممكنة، ولا متوقعة بين الأشياء. والشئ العجيب هو كل ما ينتج عن الخيال العفوي البسيط، وأقرب ما يكون إلى السذاجة. وعادة ما يتميز هذا الخيال بالصدق كأنه حقيقة واقعية، ويكون مصدره الروح الشعبية. ويأتي على الأغلب في الأعمال الشعبية على غرار الحكاية والأسطورة والخرافة، في حال انعدام الحيل، وانقطاع السبل.

والعجائبي في الآداب والفنون بشكل عام، هو تعبير عن قهر داخلي، أو عن حالة من حالات القمع والمصادرة، أو مجرد تعبير خيالي لتحقيق المتعة الفنية. وكلما كان العجائبي موعلا في الإقبال على توظيف المستحيل، كان أكثر تأثيرا في المتلقي.

<sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب، مادة "عجب"، المجلد الرابع، باب العين، ص: 2811

وتعود العجائية إلى رغبات شعورية أو فطرية غير مشبعة لدى الإنسان؛ فهو من خلال الأبعاد العجائية التي يوظفها في التعبير، يتمكن من إشباع المزيد من رغباته المختلفة، والتي استحالة تحقيقها واقعيا. وتظهر هذه الرغبات في أشكال تعبيرية عديدة في الأدب الشعبي، كالحكاية الشعبية مثلا. وكذا العجائي المبني على الإرادة الإلهية المطلقة، وفق التصور أو المخيال الشعبي.

## ب-مظاهر الأبعاد العجائية، في أشكال التعبير الشعبي المغربي:

من خلال ما ورد في تعريف "العجيب" من الشيء، يتضح أنه لا يتوفر في كافة أشكال التعبير، في الأدب الشعبي المغربي، وحتى الأدب الشعبي العربي والعالمي. فالعجائي مجسد فقط في نماذج قليلة جدا من بينها "الحكاية الشعبية العجائية"، و"المغازي". لأن مثل هذه الأشكال التعبيرية في الأدب الشعبي، نماذج قصصية غالبا ما تعتمد على العناصر العجائية، التي تجعل من أساليبها وأحداثها وأبطالها، أشياء غير قابلة للتحقق واقعيا. أما بقية أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي، فعادة ما تعتمد على الجانب الخيالي، وبعيدة عن الغلو في استخدام الأساليب العجائية، كالحكاية الشعبية، والشعر الملحون، والأغنية الشعبية، والأمثال والألغاز الشعبية. لذا يمكن الاكتفاء فقط بأنموذجين اثنين، في دراسة الأبعاد العجائية في الأدب الشعبي المغربي وهما:

- 1-**الحكاية الشعبية العجيبة:** هي حكاية غالبا ما تكون خرافية، بعيدة عن الواقع، ولا تتفق مطلقا في أحداثها مع المعطيات العقلية، ومنطق الأحداث الواقعية، ومن أهم ملاحظاتها:
  - تقع أحداثها ضمن عالم سحري مجهول، يخرج تماما عن نطاق العقل والواقع.
  - تجسد تجارب إنسانية، هي من صميم تجارب الإنسان مع عالمه الداخلي.
  - تعويض عن عالم الإنسان الخارجي؛ فأحيانا يفشل الإنسان في واقعه الفعلي، أو يعاني تجارب الخيبة واليأس، فيبدع قصصا عجائية أكثر بهاء وسحرا، يعوض بها عالمه الذي يعيش فيه الفشل والمرارة.
  - تميز الشخصية في الحكاية العجيبة بالسطحية، خلافا لشخصيات العالم الواقعي المتميزة بالعمق.
  - شخصيات الحكايا العجائية، أشكال مجردة تسعى نحو تحقيق أهدافها، دون أي هاجس نفسي للخوف؛ أو حتى التعجب من تلك الكائنات الغريبة التي تصادفها في مسيرتها.

-ينعدم الزمن الواقعي كلية، في الحكايا العجيبة، لأن شخصياتها التي تصورها لا تعيش زمنا واقعيا معينا.

-تبتعد الحكايا العجيبة عن أبعاد الزمان والمكان الواقعيين. ويمثل التخلص من خصوصيات الواقع، الضمان الأساسي لبطولة البطل وعجائبية الأحداث، التي لا يمكن أن تتميز بها إلا الحكاية العجيبة<sup>(1)</sup>.

-الجنوح نحو المعاني الرمزية، حيث تزخر الحكاية الشعبية العجيبة، بالرموز من أجل التعبير عن معاني ومضامين معينة. ومن أبرز الرموز المستخدمة في الحكاية العجيبة غالبا، "المسخ" كأن يمسح الرجل أو يحول إلى حيوان، ثم يعود إلى أصله الأول. أو أن تقوم أيادي شريرة، بمسح العالم إلى حالات من الخراب واليأس، ثم تتغلب بعد ذلك إرادة الخير والحب، على الأيدي الشريرة لتحيل العالم، إلى واقع جديد مشرق بالحياة. كما تستخدم أيضا الطقوس السحرية، ضمن حالات "المسخ" هذه، على مستوى الحكاية الشعبية العجيبة.

-توجد في الحكاية الشعبية العجيبة، حالات من الممنوع أو المحرمات، التي لا ينبغي للبطل فيها أن يتجاوزها.

-لا يكتفي الإنسان في الحكاية الشعبية العجيبة بواقعه القائم، إنما يتجاوز هذا الواقع إلى اكتشاف ما ورائياته. و غالبا ما يجر هذا الطموح على بطل الحكاية، الكثير من المصائب والمصاعب والمشاق، التي ينبغي عليه تحديها وتجاوزها<sup>(2)</sup>.

**2-المغازي:** هي نوع من أنواع القصص البطولي، الممجد لحياة الأبطال والملاحم والمعارك، والحروب الكبرى ذات الأثر الكبير في حياة وتاريخ البشر.

عرف هذا النوع في الأدب الشعبي العالمي بما في ذلك العربي والمغاربي. وكانت وظيفته الإشادة بحياة الأبطال وتخليد مآثرهم. ويتميز هذا النوع الأدبي في الأدب الشعبي المغاربي، بخاصيتين أساسيتين هما:

<sup>1</sup> للاستزادة أكثر يراجع: أحمد زباد محبك: من التراث الشعبي-دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان 2005، ص:86/87

<sup>2</sup> للاستزادة أكثر يراجع: أحمد زغب: الأدب الشعبي-الدرس والتطبيق-، مطبعة مزوار، وادي سوف-الجزائر، الطبعة الأولى، 2003، ص:50/51

-خاصية الخيال التاريخي: تظهر النزعة التاريخية واضحة، في أدب المغازي ببلاد المغرب العربي، حيث يحاول الرواة الشعبيون إلباس ثوب الحقيقة على الأحداث. مع أن ما هو معروف في أدب المغازي الشعبي، أن عنصر الخيال بما يجره من خوارق يؤدي دورا بالغ الأهمية في بناء هذا الأدب. فيجد المتلقي الأبطال وخصومهم المتصارعين، يتمتعون بقوى بدنية جبارة، حيث يصارع الواحد منهم بمفرده جماعات كثيرة من الأعداء. كما تتدخل القوى الخارقة، من الجن والمردة والملائكة، لقلب موازين المعارك. وقد تكون هذه القوى بمثابة خصوم أيضا، إلى جانب تدخل أساليب السحر.

-البطولة: تتحقق البطولة في أدب المغازي الشعبي، بفعل القوى المعنوية للأبطال، إلى جانب قواهم البدنية الجبارة. وتقوم البطولة على شجاعة البطل في المغازي، والتي تستمد قوتها المعنوية، من الأصول العربية والقوة الروحية لهذا البطل، باعتباره يسعى لتحقيق هدف نبيل، هو الدفاع عن الحق أو الوطن. وتكون قوة هذا البطل مستندة لعوامل روحية بحتة، كآبي "القرآن الكريم"، وشئ من آثار الرسول "محمد"-عليه الصلاة والسلام-، أو بعض الرقى الشرعية. وهي قيم حضارية شائعة كثيرا، في أدب المغازي، والآداب الملحمية في بلاد المغرب العربي.

والملاحظ أن هاتين الخاصيتين الفئيتين، يتضمنهما أدب المغازي في بلاد المغرب العربي. كما تتضمنها مختلف الآداب الشعبية العربية والعالمية. فهما خاصيتان مشتركتان، بين مختلف آداب المغازي الشعبية العالمية بشكل عام.

## المحاضرة الخامسة عشر

### الصورة الفنية في الأدب الشعبي المغربي

تمثل الصورة الفنية في الأدب، موضوعا واسعا بحاجة إلى المزيد من الدراسة والبحث. لاسيما أن النظر في موضوع الصورة الفنية، يختلف بين الباحثين والدارسين المتخصصين من قدامي ومحدثين. فالقدامى يعتمدون في دراسة الصورة الفنية، على الجوانب البلاغية، واللفظ، والمعنى. في حين يعتمد المحدثون في مقارباتهم للصورة الفنية على علوم اللغة، والجوانب الشعرية (الأدبية). وكذلك على البحث في الحقول الدلالية. وتختلف الرؤية المعرفية هنا، بحسب التوجهات الأدبية، من كلاسيكية، ورومنسية، وواقعية، ورمزية، وسريالية..

#### أ-تعريف الصورة الفنية:

يستخدم مصطلح صورة عادة، للدلالة على كل ما له علاقة بالتعبير الحسي، فهي أسلوب فني يمكن الفكرة من الظهور بأكثر شمولية. و« لا تمنح الشئ الموصوف استعارات من أشياء أخرى، وتشكل مع الشئ الموصوف علاقات التشابه والتقارب»<sup>(1)</sup>. لذلك فالصورة الفنية هي نوع تعبير، يتوسل بها الشعراء، للتعبير عن مشاعرهم وأفكارهم، إزاء تجارب ومواقف معينة في الحياة. بتوظيف لغة فنية معيارية تحقق انزياحا عن اللغة أو اللهجة المألوفة في الاستعمال. تتسم بطاقة جمالية مميزة، لإحداث التأثير المطلوب في نفسية المتلقي.

وإن كانت أغلب الدراسات التي اهتمت بدراسة الصورة الفنية، كانت منصبة على الشعر بقوة، غير أن الصورة الفنية خاصة أدبية ملازمة لمختلف الأجناس الأدبية التي يعرفها الخطاب الفني الأدبي. وكل النماذج الأدبية لها طريقتها ورؤيتها في التصوير. ولها كذلك لغتها التي تشكل بها، الصورة الفنية الخاصة بها. « والتعبير بالصورة خاصة شعرية، ولكنها ليست خاصة بالشعر فقط. لقد أثرها التعبير القرآني والحديث النبوي كثيرا، واعتمد عليها المثل كما فضلتها الحكمة»<sup>(2)</sup>. إضافة إلى ذلك فالصورة

<sup>1</sup> محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث- اتجاهاته وخصائصه الفنية-، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، 1985، ص:422

<sup>2</sup> محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة-مصر، د/ط، د/ت، ص:16

الفنية تقتصر دراستها، على الجانب البلاغي باعتباره الجانب الفني، الذي يوفر المزيد من الدراسة والإثراء بشأها.

## ب- تجليات الصورة الفنية في أشكال التعبير الأدبي الشعبي:

تجلى الصورة الفنية في الأدب الشعبي المغربي، من خلال أشكال تعبيرية أساسية، تبرز من خلالها آليات جمالية في التعبير عن الذات الشعبية المغربية، وخصوصيات القيم الحضارية والتاريخية والاجتماعية، لبلاد المغرب العربي.

**1- في الشعر الملاحون المغربي:** اختلف الباحثون في مجال الشعر الملاحون، بشأن الأداة الأدبية التي تحقق الصورة الفنية، هل هي اللغة أم الخيال؟...

**\*الخيال:** تتحول المشاعر والأحاسيس إلى صور وألوان فنية، تستثير مخيلة المتلقي وتشدها إليها بقوة وتجبرها على الاستجابة للعاطفة الشعرية بواسطة الخيال. والخيال شيء محبوب عليه الشاعر الشعبي، حيث يمتاز بخيال واسع، يمكنه من التماهي مع موضوعاته.

والواضح أن الخيال يعمل على تشكيل الصورة، كما هو معروف لدى شعراء الرومنسية. ولأن الشعر الملاحون نوع من أنواع الشعر الغنائي من حيث ميله للرومنسية. لذلك فقد كان له النصيب الأوفر من التأثير بالطبيعة، مما جعله يهتم بالموضوع على حساب الأساليب البيانية.

**\*اللغة:** تمثل الصورة الشعرية جزئية هامة جدا، من جزئيات اللغة. وفي هذه الحال ينبغي أن تكون اللغة متميزة عن اللغة العادية، لأن المراد هو خلق تجربة من التصوير الفني.

وقد أثبت الشعر الملاحون جدارة كبيرة، في معالجة موضوعات تاريخية واجتماعية ودينية وعاطفية كثيرة. ومن أبرز الموضوعات التي عالجها بقوة، موضوع الثورة التحريرية باعتبارها موضوعا تاريخيا وقضية وطنية هامة للغاية؛ هذا بالنسبة للشعر الملاحون الجزائري، أما عن الشعر الملاحون المغربي، فقد كان ولا تزال له مميزات فنية هامة من مثل:

-التحامه بالطبيعة: حيث أنه يأخذ صوره الحية من الطبيعة، باعتبارها ملاذا هاما للشاعر الشعبي؛ يربط بينها وبين صوره وأحلامه، ومشكلاته الوجودية والاجتماعية والنفسية. فتأتي الصورة الفنية أكثر تأثيرا في نفسية المتلقي، الذي يشارك الشاعر أحاسيسه واهتماماته.

-التزامه بالقضايا المحلية: ينزع الشعر الملحون المغاربي، نزعة واقعية إقليمية محلية؛ الشيء الذي جعله أكثر ارتباطا بالمحيط الاجتماعي و المشكلات والقضايا الوطنية. لذلك فالشاعر الشعبي يعبر عن قضايا المحيط المحلي التي يرتبط هو بها. ولا يمكن النفي « أن الشعر الشعبي لم يضمن الأساطير والخرافات في ثناياه. فالشاعر الشعبي قد يستعين بالخرافات والكرامات، ولكنه لا يحاول أن يخضع الشعر للغيبات»<sup>(1)</sup>.

-نزوع الشعر الملحون المغاربي، إلى الوصف والخيال السلسين. ويعود ذلك إلى طبيعة الإبداع في الشعر الملحون، الذي يعتمد الطريقة التلقائية الشفوية في غالبته، دون اللجوء إلى الكتابة والتدوين، والاحتكام للقواعد اللغوية، عكس الشعر العربي الفصيح.

-الوصف الحسي: ويكون في موضوعات وأغراض كالغزل أو المدح أو الرثاء. فالشعر الملحون عادة ينزع نحو التجسيد المادي لموضوعاته الواقعية، وحتى المتخيلة منها. فالصورة في الشعر الملحون المغاربي، صورة مادية حسية، كما هو الحال في بعض أغراض الغزل؛ إذ يقوم الشعر المغاربي الملحون بوصف المرأة « وصفا ماديا وحسيا، فلم يهتم بالأمور المعنوية»<sup>(2)</sup>، من مثل هذه الأبيات للشاعر الشعبي الجزائري "محمد بن قيطون" في وصف "حيزية" :

طلقت ممشوط طاح بروايح كي فاح	حاجب فوق الرماح نونين برى
عينك قرد الرصاص حربى كي قرطاس	سوري قياس كي يدين الحريا
خدك ورد الصباح وقرنفل وضاح	الدم عليه ساح وقت الصحويا
الفم مثل عاج المضحك لعاج	ريقك سيل النعاج عسله الشهايا
شوف الرقبة خيار من طلعت جمار	جعبة بلار والعواقيد ذهيبا

<sup>1</sup> التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، ص: 11

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص: 11

لذلك لا يخلو الشعر الشعبي المغاربي الملحون، من الصور الفنية التي ضمنت له الخلود والبقاء، وحققت له مجدا أدبيا وفنيا راقيا.

كما يلاحظ أن بعض القصائد الشعبية، في بلاد المغرب العربي تخضع أحيانا لنظام القصيدة العمودية، من إيقاع وقافية ووزن. وليس معنى هذا أن الشعر الملحون المغاربي، لا بد له من الخضوع باستمرار، للقواعد الفنية واللغوية، للشعر العربي الفصيح أو الأدب الرسمي. حيث لا يمكن « إخضاع أساليب هذه النصوص إلى المقاييس النقدية الحديثة التي لا تتوافق مع طبيعتها، لأنها وكما يعرف عنها أنشئت أصلا للغناء. وما أنشئ لهذه الغاية يشترط فيه الوضوح والتقيرية والمباشرة في الغالب، لأن القصد أولا وأخيرا من صاحب النص هو "الاتصال"، أي إيصال فكرته إلى أكبر عدد ممكن من الناس. و"تحقيق" الهدف الذي رمى إليه. وهاتان الغيتان لا تتحققان له ما لم يكن متوخيا السهولة والمباشرة، وما لم يكن مقربا للمعنى بالقدر المستطاع»<sup>(1)</sup>.

**2- في الألغاز:** من أبرز اهتمامات اللغز الشعبي من الناحية الفنية والجمالية، العناية بجمال القلب الأدبي، حتى عد من أرقى النماذج البلاغية في الأدب لغناه بالبلاغة، كالإيجاز في اللفظ، والاقتصار على أهم الصفات والتشبيهات الأساسية، التي يمكن أن تسهل على المتبارين الوصول إلى الحل. ويتوفر اللغز على خصائص فنية تميزه عن الكلام العادي، حيث يتميز بخاصية الإيجاز مع الدقة في تحديد المعنى، واختيار اللفظ المناسب للتعبير. وحسن اختيار الصورة الفنية النموذجية، بالإضافة إلى التعبير بطريقة غير مباشرة. مما أكسبه سبكا بلاغيا ضمن له الاستمرارية والانتشار، وسهولة الحفظ والاستمتاع. وللغز جملة من الخصائص الفنية والجمالية، هي:

**\* الإيقاع الصوتي:** يتميز اللغز الشعبي المغاربي بالإيقاع الصوتي، ويعد من أبرز العوامل الأساسية، التي مكنت أكثرية الألغاز الشعبية من الاستمرارية عبر الزمن، نتيجة توفرها على مصادر إيقاعية تتمثل في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء البنيوية المكونة للغز الشعبي. وكذا في التقديم والتأخير، بالإضافة إلى

<sup>1</sup> العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، الطبعة الأولى 1986، ص: 221/220

بعض المميزات البلاغية من سجع وجناس. فالإيقاع الذي يتميز به اللغز الشعبي في بلاد المغرب العربي، يعمل على إظهار الألغاز مختلفة عن الكلام العادي.

**\*تنوع صور التعبير عن الموضوع الواحد:** على منشى اللغز مراعاة موضوعات أساسية لإنشاء لغزه، مثل تلك المتعلقة بالإنسان، والحيوان، والحشرات، والأشياء الأخرى التي يمكن أن تكون موضوعا للغز. ويعود هذا إلى غاية معينة متعلقة بمنشى اللغز. فقد تكون الغاية إبراز قيمة تلك الأشياء ومدى تأثيرها في الأوساط الشعبية. أو بيان بعض السلبيات والإيجابيات. وقد يحدث تكرار الموضوع الواحد، في بعض الألغاز الشعبية لمرات عديدة، وبأساليب لغوية متعددة، تختلف من أسلوب لآخر.

ويعود سبب هذا التنوع إلى عاملين أساسيين، يتعلق الأول بمنشى اللغز، ويتعلق الثاني بإمكانية ظهور اللغز<sup>(1)</sup>. ويدل هذا التعدد والتنوع في الصور والمواضيع المتعلقة باللغز الشعبي المغربي، على قيمة اللغز وفوائده الاجتماعية والحضارية وكذا الدينية. ومثال التنوع في اللغز الشعبي المغربي، يمكن إيراد هذا المثال الخاص بالعين.

-وردة في الكاس دايرين عليها ميات حراس.

-عودتنا الكحلة إلا رقدت يغطيها جلالها والا ناضت دنيا قاع قبالها.

هذا التنوع في مواضيع الألغاز له علاقة مباشرة، مع طبيعة اللغة وانتقاء الألفاظ. حيث يكون اللغز الصورة اللفظية التي تعبر عن الفكرة المراد التعبير عنها. وبشكل يختلف بحسب التمكن من ناصية اللغة الشعبية، والقدرة على السمو بها على التعبير عن مشاعر الذات الشعبية، وهو ما يعرف بالمستوى الفني في التعبير الشعبي. فالبنية اللغوية للغز، تقوم على أناقة التعبير اللفظي العامي، مع الإيقاع والتجانس في النطق والتعبير. وهذا يثبت الخاصية الفنية والقيمة الفنية والأدبية للغز الشعبي، الذي يحوي طاقة الإبداع من خلال كلماته المتناسقة، والتراكيب والعبارات المتآلفة، المعبرة عن رؤية منشئ اللغز الفكرية والفنية، إزاء موضوع اللغز.

<sup>1</sup> ينظر في ذلك رابح العوي: أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار عناية-الجزائر، د/ط، د/ت، ص: 107

\*الرمزية: يشترك اللغز الشعبي المغاربي، مع غيره من الألغاز الشعبية الأخرى في سائر الآداب الشعبية العالمية، أنه يتضمن السؤال والجواب ومعا. وحتى يعرف بأنه لغز، لابد من فهم طبيعة الخطاب الوصفي الإخباري الخاص به. والذي يقوم بدوره بشرح موضوع اللغز والكشف عن معناه الخفي. غير أنه لا يمكن لأي شخص فك اللغز، لما يمتاز به من جمالية الأسلوب المتوسل بالألوان البيانية العديدة. والرمزية هي في حد ذاتها أسلوب يعتمد الصور البيانية كالاستعارة والكناية والتشبيه والمجاز والتورية.» حيث يوحي بهذه إلى معان مستترة في المعاني ومعرفة الحقيقة القابعة خلف قرائن دالة عليها<sup>(1)</sup>.

ولأن الألغاز شحنة إيحائية بحقيقة واقعية، تتميز لغتها بمفاهيم غير المفاهيم الاعتيادية المعروفة لدى الناس. بحكم أنها لغة غير مألوفة، لأن الغرض منها هو اختبار القدرات المعرفية للشخص الذي سئل عن حل اللغز؛ فلغة اللغز الغريبة لا تسمى الأشياء بمسمياتها الكاملة والمعروفة في اللغة اليومية المتداولة، إنما يشار من خلالها إلى مغزى ومعنى عميقين.

\*التكرار: وهو خاصية من خصائص الأداء الفني الجميل، في الألغاز الشعبية عموماً. يعتمد اختيار الألفاظ مع الدقة في ترتيبها وترديدتها، بغرض تحقيق فائدة معرفية من فوائد اللغز، وإلا صار اللغز مجرد كلام منمق ليس إلا.

هذه الخصائص الفنية المذكورة، هي التي صنعت الصورة الفنية للألغاز الشعبية المغاربية. وهي خصائص فنية مشتركة بين مختلف الألغاز في بلاد العالم. والملاحظ أن هذه الخصائص تميز اللغز الشعبي المغاربي من الناحية الشكلية والمضمونية أحياناً. وتدل على معرفة متعلقة بمجال اللغة، والاهتمام الروحي الشعبي، المتضمن لمظاهر الحياة الواقعية والكشف عن طبيعتها.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص: 114

## بيبلوغرافيا المحاضرات

\*القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع

\*المراجع العربية:

- 1- إبراهيم الحميدي: أنثروبولوجيا الفنون التقليدية، دار اللاذقية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1984
- 2- إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم - الأنواع والوظائف والبنىات-، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 2008
- 3- أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1979
- 4- أحمد بن محمد بن الصغير: الألغاز الشعبية في جنوب الأطلس الصحراوي الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الأولى، 2007
- 5- أحمد زغب: الأدب الشعبي-الدرس والتطبيق-، مطبعة مزوار، وادي سوف-الجزائر، الطبعة الأولى، 2003
- 6- أحمد زياد محبك: من التراث الشعبي-دراسة تحليلية للحكاية الشعبية، دار المعرفة، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان 2005
- 7- أحمد زيادي: الأحاجي المغربية، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط، -المغرب، الطبعة الأولى 1994
- 8- أحمد كمال زكي: الأساطير -دراسة حضارية مقارنة-، دار العودة، الطبعة الثانية، بيروت-لبنان، 1979
- 9- أحمد مرسى: مقدمة في الفلكلور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى، 2004
- 10- بولرباح عثمانى: دراسات نقدية في الأدب الشعبي، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي -الجزائر، الطبعة الأولى، 2009

- 11-التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة التحريرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،-الجزائر، 1983
- 12-التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، الطبعة الأولى 1990
- 13-حسن اليوسي: زهرة الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة -الجزائر 1981، الطبعة الأولى
- 14-حسين عبد الحميد رشوان: الفلكلور والفنون الشعبية، منشورات المكتب الجامعي الحديث، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى 1993
- 15-حسين عبد الحميد رشوان: الفولكلور والفنون الشعبية من منظور علم الاجتماع، دار الانتصار للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى 1993
- 16-حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة -مصر 1997
- 17-خزعل الماجدي: بخور الآلهة ، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، الطبعة الأولى 1998
- 18-رابح العوي: أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار عنابة-الجزائر، د/ط، د/ت
- 19-السعيد بن فرحي: الموجز في الشعر المغربي المملغز، مطبعة فضالة، الطبعة الأولى 1998
- 20-سميح عاطف الزين: الأمثال والمثل والتمثل والمثالات في القرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية 2000
- 21-سمير المرزوقي، جميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، ديوان المطبوعات الجامعية، -الجزائر، د/ط، د/ت
- 22-عباس الجارري: الزجل في المغرب، دار توبقال للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء -المغرب، الطبعة الأولى، 1997

- 23-عبد الحميد بورايو: الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، -الجزائر، الطبعة الأولى، 2007
- 24-عبد الحميد بورايو: البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية،-الجزائر، الطبعة الأولى 1998
- 25-عبد الحميد بورايو: البعد الاجتماعي والنفسي لفن القص في الثقافة الجزائرية، دار فيسيرا للنشر -الجزائر، الطبعة الأولى 2009
- 26-عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر، الطبعة الأولى 1986
- 27-عبد الحميد بورايو: في الثقافة الشعبية الجزائرية -التاريخ والقضايا والتحليلات-، دار فيسيرا للنشر والتوزيع، -الجزائر، الطبعة الأولى 2011
- 28-عبد الحميد شاكر: الفكاهة والضحك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-دولة الكويت، الطبعة الأولى 2003
- 29-عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى 1968
- 30-عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، -القاهرة، د/ط، د/ت
- 31-عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، -الجزائر، 1983
- 32-عبد المجيد قطامش: الأمثال الشعبية -دراسة تاريخية وتحليلية-، دار الفكر، دمشق -سوريا، الطبعة الأولى 1988
- 33-عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر، الطبعة الأولى 2007

- 34-عبد الملك مرتاض: الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، -الجزائر، الطبعة الأولى، 1989
- 35-العربي دحو: الشعر الشعبي ودوره في الثورة، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، الطبعة الأولى 1986
- 36-عز الدين إسماعيل: القصص الشعبي في السودان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة -مصر، 1971
- 37-عزيزة مريدن: القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، -الجزائر، د/ط، د/ت
- 38-عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى 1982
- 39-فاروق خورشيد ومحمود ذهني: فن كتابة السيرة الشعبية -دراسة فنية نقدية لسيرة عنتر بن شداد- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة -مصر، 1991
- 40-أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري: مجمع الأمثال، المجلد الأول، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت -لبنان، الطبعة الثانية، د/ت
- 41-محمد الجوهري: مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، دار المعارف، القاهرة-مصر، الطبعة الأولى، 2006
- 42-محمد المرزوقي: الأدب الشعبي في تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، -تونس، 1967
- 43-محمد المرزوقي: الشعر الشعبي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، -تونس، الطبعة الأولى 1993
- 44-محمد المرزوقي: في الأدب الشعبي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1967
- 45-محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1988

- 46- محمد حسن عبد الله: الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهرة-مصر، د/ط، د/ت
- 47- محمد سعيدي : الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر، الطبعة الأولى 1998
- 48- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث-اتجاهاته وخصائصه الفنية-، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان، 1985
- 49- محمود ذهني: الأدب الشعبي، مطبوعات جامعة القاهرة، -مصر، 1972
- 50- محمود مفلح بكر: البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق -سوريا، الطبعة الأولى 2009
- 51- مراد جولي: الأمثال المقارنة، منشورات دار المراد، بيروت -لبنان، الطبعة الأولى 1998
- 52- مرسى الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية -القاهرة، د/ط، د/ت
- 53- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، الجزء الثالث، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1974
- 54- مصطفى يعلى: القصص الشعبي المغربي: إشكالية التصنيف والتجنيص، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط -المغرب، الطبعة الأولى 1994
- 55- ناجي التباب: المثل الشعبي -عراقة الحديث وحادثة العريق-، مطبعة التسفير الفني، صفاقس -تونس، الطبعة الأولى 2008
- 56- ناهضة ستار: بنية السرد في القصص الصوفي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق -سوريا، الطبعة الأولى 2003
- 57- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة -مصر، الطبعة الأولى، 1998
- 58- نبيلة إبراهيم: الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتبة القاهرة الحديثة، د/ط، د/ت

- 59-نبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت -لبنان، 1974
- 60-نصر الله ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي / بدوي طبانة، الطبعة الأولى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة -مصر، د/ط، د/ت
- 61-نمر سرحان: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 2008

#### \*المراجع المترجمة:

- 1-رودلف زلهائم: الأمثال العربية القديمة، ترجمة: رمضان عبد التواب، دار الأمانة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1971،
- 2-ريشارد.م. درسون: نظريات الفلكلور المعاصرة، ترجمة: حسن الشامي ومحمد الجوهري، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر-السعودية، الطبعة الأولى 2002
- 3-هنري جورج فارمر: تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث الهجري، ترجمة: جريسيس الله المحامي، منشورات مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى 1982
- \*المعاجم والقواميس:

- 1-أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين: معجم مقاييس اللغة، باب النون والكاف، تحقيق د/عبد السلام هارون، دار الفكر دمشق- سوريا، الطبعة الأولى 2007
- 2-إيكة هولكتراس: قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفلكلور، ترجمة: محمد الجوهري، وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة -مصر، 1972
- 3-رشيد بن مالك: قاموس التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع،-الجزائر، الطبعة الأولى 2000
- 4-عبد الحميد يونس: معجم الفولكلور، دار البعث للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق -سوريا، الطبعة الأولى 2002

5- أبو الفضل جمال الدين بن منظور: لسان العرب - الجزء الرابع، حرف الحاء، مادة حكي، دار المعارف، القاهرة - مصر، د/ط، د/ت

6- مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد الشامي، زكريا جابر أحمد، دار الحديث القاهرة، - مصر، الطبعة الأولى 2008

#### \*المجلات والدوريات:

1- صالح جديد: الأدب الشعبي المغاربي والدراسات النقدية، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثالث 2016/03/01، جامعة الجلفة - الجزائر

2- ناصر عبد العزيز: إشكالية تصنيف القصص الشعبي الجزائري، مجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد الأول 2009، جامعة المسيلة - الجزائر

#### \*المواقع الإلكترونية:

1- عبد اللطيف الدليشي: الأمثال الشعبية في البصرة، الموقع الإلكتروني:

<http://alnoor.se/article.asp>

2- فخري صبري عباس: العناصر المشتركة للأمثال العامية العربية - دراسة مقارنة في الأنثروبولوجيا الثقافية -، الموقع الإلكتروني: <http://alnoor.se/article.aspx>

#### \*المخطوطات:

1- العربي بن عاشور: قصص المغازي في الأدب الشعبي الجزائري - مخطوط دكتوراه -، جامعة الجزائر 2012/2011

2- عزي بوخالفة: تغرية بني هلال بين التاريخ والروايات الشفهية الهلالية الجزائرية - مخطوط دكتوراه دولة -، جامعة الجزائر 2003/2002

3- كمال بن عمر: الأغاز الشعبية في منطقة واد سوف، رسالة ماجستير (مخطوط)، جامعة الحاج لخضر باتنة - الجزائر، 2006-2007

**\*الموسوعات:**

1-موسوعة ماسبيرو تاريخ المشرق، ترجمة: أحمد كمال، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، القاهرة –

مصر، 1897م

2-ويكيبيديا الموسوعة الحرة ar.Wikipedia.org

## فهرس المحاضرات

الرقم	الموضوع	الصفحة
01	أهداف المقرر	01
02	المكتسبات القبلية	01
03	مفردات المقرر	02
04	الفرش التمهيدي	03
05	المحاضرة الأولى: الأدب الشعبي - المصطلح والمفهوم -	04
06	المحاضرة الثانية: الأدب الشعبي المغربي وعلاقته بالفلكلور	09
07	المحاضرة الثالثة: أصناف الأدب الشعبي المغربي	13
08	المحاضرة الرابعة: أشكال التعبير في الأدب الشعبي المغربي	20
09	المحاضرة الخامسة: الشعر الملحون المغربي ومجالاته	25
10	المحاضرة السادسة: الأغاني الشعبية المغربية ومجالاتها	31
11	المحاضرة السابعة: القصص الشعبي وأنواعه	37
12	المحاضرة الثامنة: السيرة الشعبية المغربية	44
13	المحاضرة التاسعة: الأمثال الشعبية المغربية	50
14	المحاضرة العاشرة: الألغاز الشعبية المغربية	60
15	المحاضرة الحادية عشر: النكتة الشعبية المغربية	72
16	المحاضرة الثانية عشر: الأسطورة والخرافة الشعبية المغربية	77
17	المحاضرة الثالثة عشر: مناهج تحليل ودراسة الأدب الشعبي	81
18	المحاضرة الرابعة عشر: الأبعاد العجائبية في الأدب الشعبي المغربي	92
19	المحاضرة الخامسة عشر: الصورة الفنية في الأدب الشعبي المغربي	96
20	بيبلوغرافيا المحاضرات	102
21	فهرس المحاضرات	110